الفصل الأول

معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 9- 10].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال «قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبيّ؟ قال: فانطلق إليه، وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة[1]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عنيّ، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[2] [الحجرات: 9].

وعن الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، فإن الله سبحانه أمر النبي ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على

---

(1) أرض سبخة هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(2) البخاري، رقم (2691)، مسلم رقم (1799).

إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويروا بحكم الله[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9] أي إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد وإزالة الشبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بـ«إنْ» للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب[2].

وقد استدلّ البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تُخرج من الإيمان، خلافاً للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيّد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[3].

فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما[4]. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، أي: فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله، وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9] أي رجعت الفئة الباغية في بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال

(1) التفسير الصحيح، حكمت البشير (4/ 369).
(2) التفسير المنير للزحيلي (26/ 237).
(3) البخاري، رقم (710).
(4) التفسير المنير (26/ 238).

بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما، إن الله يحب العادلين، ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور[1].

قال ﷺ: «**إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا**»[2] ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال، ولو في أدنى اختلاف، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10]، فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم[3].

إن الله تعالى لم ينفِ صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كلتيهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية من حرص على الإصلاح وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه من طرق سلمية، وجرّد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفيء معاوية رضي الله عنه إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه، فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] فأثبتت الإخوة الإيمانية لجميع المقاتلين من المسلمين، ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الجمل وما وقع مع معاوية في صفين، ومن هنا يظهر لنا أن المقاتلين في الجمل وفي صفين مؤمنون، ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم، ويكفي في الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم أخوة الإيمان، ويأتي بيان ما وقع بينهم - بإذن الله تعالى - بالتفصيل.

---

(1) التفسير المنير (26/ 238).

(2) مسلم، كتاب: الإمارة - حديث رقم (1827).

(3) سورة الحجرات، د: ناصر العمري، ص 305.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوّى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي[1].

وقد جعلت الآية الكريمة الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيماً لأمر الإصلاح بين المسلمين[2]. ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل[3]، وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا إخوة إلا بين المؤمنين، ولا إخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضاً أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الإخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذمياً أو مستأمناً وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقاً إن كان خصمه حربياً[4].

وقد قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإياها عنى النبي ﷺ: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»، [أي عمار بن ياسر] أي أن الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[5] أمير

(1) التفسير المنير (26/ 239).
(2) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري، ص: (16).
(3) التفسير المنير (26/ 239).
(4) التفسير المنير (26/ 240).
(5) التفسير المنير (26/ 242)، أحكام القرآن (4/ 150).

المؤمنين عليٌّ، وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة - بإذن الله تعالى - ويعتبر نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله نظاماً له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكـيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور[1]، ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توّج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه.

(1) في ظلال القرآن (6/ 3344).

المبحث الأول

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه سبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ، منها الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة، وقد تمّ تفصيل تلك الأسباب في كتابي «سيرة عثمان بن عفان»[1].

إن عثمان رضي الله عنه كان الناس يحبونه حباً عظيماً، لحسن سياسته ولمكانته من رسول الله ﷺ وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمي بذي النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بُشروا بالجنة، ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء، وكان في استطاعته أن يقضي عليهم ولكنه امتنع خوفاً من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ﷺ، فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه، ولذلك كان مقتله سبباً لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن، ولقد كان مقتله عظيماً على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نسب إليه: مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على

---

(1) عثمان بن عفان للصَّلّابي ص (311 - 340).

الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه، بإذن الله.

ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عموماً:

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

1 – السبئية حقيقة أم خيال؟ حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء، وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة عمر بن سيف التميمي وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث لأن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علماً بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر أن أخبار عبد الله بن سبأ ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند[1].

وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ[2] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين. وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنِّحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قصراً على تاريخ الإمام الطبري، واستناداً على

(1) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة، ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

(2) تحقيق مواقف الصحابة (1 – 284) ذكر تفصيلات مهمة، وكذلك: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للعودة.

روايات سيف بن عمر التميمي فيه إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي وآراء الفرق والنِّحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق عمرو بن سيف حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها عمرو بن سيف كما أسلفنا، إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟[1].

وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[2] المتوفى عام 83هـ وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف[3]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام 103هـ (721 م) تفيد كذب عبد الله بن سبأ[4]، وتحدث ابن حبيب[5] المتوفى عام 245هـ (860 م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[6]، كما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة (253هـ) خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة[7]، ويعتبر

---

(1) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة، تحقيق مواقف الصحابة (1/ 70).
(2) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمداني، المعروف بأعشى همدان.
(3) ديوان أعشى همدان: ص (148).
(4) تاريخ دمشق، ابن عساكر (9/ 331).
(5) تاريخ بغداد (2/ 277).
(6) عبد الله بن سبأ للعودة، ص (53)، المحبر، ابن حبيب، ص (308).
(7) تذكرة الحفاظ (2/ 551)، شذرات الذهب (2/ 129).

الجاحظ[1] المتوفى سنة (255هـ) من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ[2]، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروي الدكتور جواد علي[3] وخبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه الطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[4]، ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته، ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[5]، ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل[6].

ويقول ابن حجر رضي الله عنه :

عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون الإلٰهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[7]، ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى 354هـ: وكان الكلبي - محمد بن السائب الإخباري - سبئياً، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة.. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[8]، كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة (السبئية) إلى عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام[9]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره[10]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة (728هـ) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق، الذي أظهر الغلو في علي وادعى

(1) وفيات الأعيان (83، 470).
(2) البيان والتبيين (3/ 81).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (8/ 290).
(4) عبد الله بن سبأ للعودة، ص (53).
(5) مجموع الفتاوى (28/ 483).
(6) ميزان الاعتدال للذهبي (2/ 426).
(7) لسان الميزان لابن حجر (3/ 360).
(8) المجروحين من المحدثين، أبو حاتم (2/ 253).
(9) الأنساب (7/ 24).
(10) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 298)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (54).

الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له[1]، ويشير الشاطبي[2]، والمتوفى عام (790هـ) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إلٰه مع الله - تعالى - وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[3]، وفي خطط المقريزي المتوفى عام (845 هـ)، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي مُحَدِّثاً القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[4].

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ: فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد بن عبد الله، قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ إنه ادّعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبداً طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[5]، والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة[6].

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[7]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[8].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية، لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال:

---

(1) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (4/ 435).
(2) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطي توفي عام (790).
(3) الاعتصام (2/ 197).
(4) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (2/ 256، 257).
(5) رجال الكشي (1/ 324).
(6) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة لمحمد علي المعلم، ص (30).
(7) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة، ص (62).
(8) المصدر نفسه.

يوليوس فلهاوزن[1]، وفان فولتن[2]، وليفي ديلافيد[3]، وجولد تسهير[4]، ورينولد نكلسن[5]، وداويت رونلدس[6]. . على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني وبرنارد لويس[7]، وفريد لندر المتأرجح[8]، علماً بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن استقرأ المصادر، سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجوداً تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين، يبدو أن أول من شك في وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده البتة.

وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات[9]، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

2 – دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه بدت في الأفق سمات الاضطراب في

(1) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن، ص (170).
(2) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ص (80).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 321).
(4) العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير، ص (229).
(5) تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية، ص (235).
(6) عقائد الشيعة: ص (58).
(7) أصول الإسماعيلية (86).
(8) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 312).
(9) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 312).

المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء.

وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة[1]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في إحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ إن هناك أجواءً للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادّعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الذي [بثّ سمومه] في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وتفرق الأمة شيعاً وأحزاباً[2].

وخلاصة ما جاء به: أن أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادىء فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبّس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأوّله على زعمه الفاسد حيث قال: لَعَجَب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85].

فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[3]، كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء[4].

وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيّ رسول الله ﷺ وتناول أمر

(1) مثال: سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).
(2) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 327).
(3) تاريخ الطبري (5/ 347).
(4) المصدر نفسه.

الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصيّ رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[1]، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار - وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنّا لفي عافية مما فيه الناس[2].

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصباً وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة في الكوفة - على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علماً بأنه ركّز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقرَّاء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان مثل تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه مع براءته، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[3].

هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر

(1) تاريخ الطبري (5/ 348).
(2) المصدر نفسه.
(3) الدولة الأموية، يوسف العش، ص (168)، مواقف الصحابة (1/ 330).

فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[1]، على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان رضي الله عنه، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله ﷺ يقصد عليًّا[2]، وقد غشهم بكتب ادّعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعاً، حيث تبرؤوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان[3]، ووجدوا عثمان مقدراً للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك الأشتر النخعي: لعله مُكر به وبكم[4]. ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيّج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها[5]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروي ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[6].

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وما ترتب عليه قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما - والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيماً، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت

(1) تاريخ الطبري (5/ 250).
(2) تاريخ الطبري (5/ 348)، تحقيق مواقف الصحابة (1/ 330).
(3) المصدر نفسه.
(4) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 331).
(5) المصدر نفسه (1/ 338).
(6) البداية والنهاية (7/ 168، 167).

نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم في الكوفة أم في مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون[1].

ثانياً: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين علي وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم رحمه الله:

ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله:

ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقرّ بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليًّا وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا[3]...

وقال أيضاً رحمه الله:

وكل فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإن فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[4].

إن منشأ الخلافة لم يكن قدحاً في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإنما اختلافهم

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 339).
(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 160).
(3) - (4) مجموع الفتاوى (35/ 72).

في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين علي موافقاً من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجىء الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، **فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:**

قسم ظهر لهم بالاجتهاد: أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليهم.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه[2].

ثالثاً: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم ومن كان على رأيهم:

1 – السيدة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

لما سمعت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتستَّرت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت:

---

(1) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص (158).

(2) شرح النووي على صحيح مسلم (15/ 149).

أيها الناس: إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب[1]، واستعمال من حدثت سنُّه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا[2]، وبادروا بالعدوان، نبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[3] من اجتماعكم عليه حتى يَنْكل بهم غيرهم[4]، ويشرَّد[5] من بعدهم، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً نخلُص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء[6].

وجاء في رواية أن عائشة رضي الله عنها حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي - أمير مكة - فقال لها: ما ردَّك يا أم المؤمنين؟، قالت: ردني أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام[7]، وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان، ولعنها لمن قتله، وروت في حقه أحاديث عن رسول ﷺ في فضائله، فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها؛ أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمّها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول: اكتب عثمان، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله[8].

---

(1) الأرب: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل.
(2) خلجوا: تحركوا واضطربوا.
(3) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.
(4) ينكل بهم غيرهم: حتى يروعهم ويروع بهم غيرهم.
(5) يشرّد: يفرق ويبدد جمعهم.
(6) تاريخ الطبري (5/ 473-474).
(7) تاريخ الطبري (5/ 475).
(8) المسند (6/ 250-260)، تحقيق مواقف الصحابة (1/ 378).

وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت حين قُتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[1]، وقد مر معنا كذب البيين في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذباً وزوراً للسيدة عائشة، وقد جاءت رواية موضوعة، وضعيفة أسانيدها واهية من رواية الكذابين وللأسف اتبعها بعض المعاصرين وراجت عليهم هذه الأكاذيب صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تماماً للروايات الصحيحة السالفة الذكر وزعمت تلك الروايات الكاذبة أن السيدة عائشة رضي الله عنها ألبت على عثمان رضي الله عنه وقالت بوجود خلاف بينهما، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله، ونقل ذلك الطبري.

ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين، وإليك مثال على ذلك:

ما ذكره الطبري قال: كتب إليَّ عليّ بن أحمد بن الحسن العجلي، أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نويرة، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمن أدرك من أهل العلم، أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف[2] راجعة إلى مكة، لقيها عبد بن أم كلاب - وهو عبد ابن أبي سلمة، ينسب لأمه - فقالت له: مهيم، قال: قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمكثوا ثماني، قالت: ثم صنعوا ماذا، قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خيار مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب، فقالت: ردُوني والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنَّ بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولمَ، فوالله، إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً[3] فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت، وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

---

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 391)، وتاريخ خليفة ص: 176، إسناده صحيح إلى عائشة رضي الله عنها.
(2) سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة.
(3) نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية، كان يشبه عثمان.

فمنك البَدَاء ومنكِ الغِيَر ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا: إنه قد كفر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحِجر، فَتستَّرتْ واجتمع إليها الناس فقالت: إن عثمان قُتل مظلوماً، ووالله لأطلبن بدمه[1].

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري، ويكفي أن في رجال الإسناد نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي، منكر، تركوه، جلد[2]، وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد، وهو قائد السرية التي قاتلت الحسين رضي الله عنه، وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه، متهم بالوضع متروك[3] فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها[4]، وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة، لا تثبت أمام النقد العلمي سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها [5].

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد وفي كتاب الأغاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف، وغيرها من الكتب وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه لا يعتد بها لمخالفتها للروايات الصحيحة وقيامها على روايات واهية، فأغلبها روايات غير مسندة، والمسند مجروح الإسناد لا يحتج بروايته، هذا إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقرباً للحقيقة[6].

وقد قامت السيدة الفاضلة والباحثة القديرة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره، وبيَّنت زيفها وكذبها، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً، لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رُمي أصحابها

(1) تاريخ الطبري (5/ 485).
(2) المغني في الضعفاء (2/ 696)، ميزان الاعتدال (24/ 7)، التاريخ الكبير (8/ 105).
(3) سير أعلام النبلاء (4/ 349)، الطبقات (5/ 168).
(4) دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء، ص 354.
(5) دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء، ص 352.
(6) دور المرأة السياسي، ص 270.

بالتشيع والكذب والرفض، ولكننا عرضنا لها لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سقوطها، فهي روايات - كما اتضح لنا - حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعاً ﷺ [1].

ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان ﷺ لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمردين، لكن لم يصح عنها ﷺ شيء من هذا، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة ﷺ وعن الصحابة الذين اشتركوا معها - وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم، التي كانت كافية لدحض هذه الروايات -، لكننا توقفنا أمام الروايات، تأكيداً منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية، والعلمية، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها[2] بعضاً، إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة ﷺ لا تثبت سنداً ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضاً.

2 - طلحة والزبير ﷺ:

طلب طلحة والزبير ومن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين ﷺ تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان ﷺ، فقال لهم أمير المؤمنين علي ﷺ: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثاب إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟. قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، إن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرَع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً.

إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا[3].

(1) دور المرأة السياسي، ص 370.
(2) المصدر نفسه، ص 371.
(3) تاريخ الطبري (5/ 460).

ولكن هذه السياسة الحكيمة، لم يتفهم بها بعضهم فالناس في حال غضبهم وسيرهم وراء عواطفهم، لا يدركون الأمور إدراكاً واقعياً يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكناً، ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره[1]، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان[2]، وأخبر علي بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا نستطيع هو ولا هم أن يفعلوا شيئاً في مثل تلك الظروف فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتجّ فيهم بشيء[3] وكأن رواد الفتنة من السبئية تبادر إلى أذهانهم أن الخليفة يريد أن يجردهم من أعوانهم الذين يشدون أزرهم ويقضون إلى جوارهم فعصوا ذلك الأمر وحرّضوا الأعراب على البقاء فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج علي وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم، فأبت السبئة وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي ﷺ فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عشوا عن ذلك[4]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى، ثم أنشد يقول:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعاديا[5]

حتى هذه اللحظة فإن علياً وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يبدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة، دفعاً لضررهم على الدين كله، وكانوا متعاونين في ذلك، وكان الأمر يبدو منطقياً تماماً من علي رضي الله عنه واتفق معه الصحابة في ذلك، ولكن كيف يصنعون بهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا، لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم[6].

وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي، فقد قال

(1) تاريخ الطبري (5/ 460).
(2) الدور السياسي، ص 378.
(3) تاريخ الطبري (5/ 460).
(4) عشوا: عشا: ساء بصره، وهنا لم يروا.
(5) تاريخ الطبري (5/ 461).
(6) فتح الباري، (12/ 360).

طلحة لعلي: دعني فلآت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل[1]، ولكن علياً ﷺ نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك[2].

ولعل علياً ﷺ كان يخشى الفتنة وتحول الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما[3]. وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلاً على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي ﷺ جميعاً، من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حد من أهم الحدود وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر عليٌ في ذلك، لكن علياً ﷺ كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يُدّارك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سُعِّرت ازدادت واستنارت[4].

ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان ولم يستطع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر[5] وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بُدًّا فآخر الدواء الكي[6]، فقد كان عليّ ﷺ يعرف أن خروجهم من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل، فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة[7].

وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء، وامتناع

(1) تاريخ الطبري (5/ 361).
(2) المصدر نفسه (5/ 361).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 108).
(4) تاريخ الطبري (5/ 367)، دور المرأة السياسي، ص 380.
(5) نكابر: أي نجاحد ونغالب على الأمر.
(6) تاريخ الطبري (5/ 368)، دور المرأة السياسي، ص 380.
(7) دور المرأة السياسي، ص 380، 381.

علي عن الموافقة - بالباطل - وقالوا: أنه تخوف جانب الرجلين وخشي أن يعيداها عليه جذعة ويستنا به سُنَّة أهل مصر بعثمان يكون له معهما يوم كيوم الدار[1]، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يتحمل[2]، وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

لقد ذهب الزبير وطلحة ﷺ إلى مكة والتقوا بكم غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان ﷺ، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله.

3 - معاوية بن أبي سفيان ﷺ:

شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين علي ومعاوية ﷺ كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فقد جاء في كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة الدينوري[3] رواية تذكر أن معاوية ادعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري ﷺ: أعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حلّ خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه[4].

وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي ﷺ وإنما من كلام الروافض، وسيأتي الحديث عن كتاب «الإمامة والسياسة» وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة[5].

والصحيح أن الخلاف بين عليّ ومعاوية ﷺ كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فقد كان رأي معاوية ﷺ ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ ﷺ من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة[6].

---

(1) الخلفاء الراشدون، ص 372.
(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 118.
(3) هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضي محترق، وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل.
(4) الإمامة والسياسة (1/ 113).
(5) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (2/ 145).
(6) البداية والنهاية (129/ 8)، فتح الباري (13/ 92).

ويقول القاضي ابن العربي: أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء - أي أهل الشام - يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة[1].

ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلة: إن معاوية وإن قاتل علياً، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنّاً منه أنه مُصيب، وكان مُخطئاً[2].

ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعليّ ﷺ من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعليّ.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي[3].

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أن معاوية ﷺ اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي ﷺ إذا أقيم الحدّ على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان، حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[4].

إن معاوية ﷺ كان من كُتَّاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم لهجةً، وأكثرهم حلماً، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل

(1) العواصم من القواصم، ص 162.
(2) لمع الأدلة في عقائد أهل السُنة والجماعة، ص 115.
(3) الصواعق المحرقة (2/ 622)، وهذا اجتهاد معاوية ﷺ، وإن كان الصواب هو: أن يبايع معاوية ثم يُطالب بالقصاص.
(4) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 150).

مُلك زائل، وهو القائل: والله لا أُخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[1]، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال فيه: «**اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به**»[2]، وقال: «**اللهم علمه الكتاب وقه العذاب**»[3].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه فيظهر في رفضه أن يُبايع لعليّ رضي الله عنه قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[4].

وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه: لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[5].

ويمكن القول أن معاوية رضي الله عنه كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكَّرهم أنه ولي عثمان - ابن عمه - وقد قُتل مظلوماً، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: 33].

ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[6]، وإذا قارنا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومعاوية رضي الله عنه لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية رضي الله عنه من أربعة أوجه:

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 151).
(2) صحيح سُنن الترمذي للألباني رقم 3018، (3/ 236).
(3) فضائل الصحابة (2/ 912) إسناده حسن.
(4) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 151).
(5) تفسير القرطبي (2/ 256).
(6) صفين لابن مزاحم، ص 32، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 152).

كان أولها: مبايعتهما لعليّ طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفاً بفضله[1].

والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما، ومعاوية لا شك دونهما فيها[2].

الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط، ولم يتعمدوا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل[3]، بينما أصر معاوية على حرب عليّ ومن معه في صفين[4].

والرابع: لم يتهما علياً بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[5].

رابعاً: موقف معتزلي الفتنة:

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة، على قول رسول الله ﷺ: **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً، فليعُذ به»**[6].

قال ابن حجر رحمه الله:

ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها[7]، وقال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي»**، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟، قال: **«من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه»**، قالوا:

---

(1) البداية والنهاية (8/ 129)، فتح الباري (13/ 92).
(2) كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 113)، تاريخ الطبري (3/ 475).
(4) تاريخ الطبري (5/ 612-615).
(5) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 139)، البداية والنهاية (7/ 259).
(6) البخاري، كتاب: الفتن، رقم 7081.
(7) الفتح (13/ 31).

فمن لم يكن له شيء من ذلك؟، قال: «يعمد إلى سيفه فيضرب بحدّه على حرّة، ثم ليتبع ما استطاع النجاء»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم، يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[2]، وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة، قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله ﷺ إلى التخلف عن القتال في زمن علي رضي الله عنه وإيثار السكون، والركون إلى السلام والتباعد عن ملتطم الغوائل، منهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[3]، وكانا من العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولاً: أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري، وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم[4].

وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا[5].

وقال ابن تيمية رحمه الله:

وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب، ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي ﷺ في ترك القتال في الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة[6]، وقد ذهب الإمام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال مع الإمام علي هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم[7].

---

(1) مسلم، كتاب: الفتن، وأشراط الساعة.
(2) البخاري، كتاب: الفتن، رقم (708).
(3) من العشرة المبشرين بالجنة توفي 51هـ، تهذيب التهذيب (4/ 30).
(4) غياث الأمم في تياث الظلم، ص 85-86.
(5) فتح الباري (13/ 34).
(6) مجموع الفتاوى (35/ 55).
(7) تفسير القرطبي (16/ 319).

وإليك طرفاً من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة:

1 – سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين، ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل، إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[1].

وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون المُلك بينهم؟، فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يحب العبد التقي الخفي»**[2].

2 – محمد بن مسلمة رضي الله عنه :

عن الحسن أن علياً بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟، قال: دفع ابن عمك – يعني النبي ﷺ – سيفاً فقال: **«قاتل به ما قوتل العدو فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً، فاعمد به إلى صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة»**، قال: خلوا عنه[3].

3 – أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :

عن زيد بن وهب قال: . . . جاءنا قتل عثمان، فجزع الناس من ذلك، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد منع الناس ما ترى، وفينا رهط من أصحاب محمد ﷺ، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا على أبي موسى، وهو أمير الكوفة، فكان قوله نهياً عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت[4].

---

(1) مجمع الزوائد (7/ 299) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
(2) مسلم (4/ 2244).
(3) مُسند أحمد (4/ 225) فيه انقطاع، وله طريق آخر، رواه الطبراني في الكبير (12/ 177–178). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 301) ورجاله ثقات.
(4) تاريخ ابن عساكر (ص 487–488).

وأخرج الطبري في قصة قدوم ابن عبَّاس والأشتر إلى الكوفة لاستنفار الناس أن أبا موسى قام - وكان يومها أميراً على الكوفة - فدعا الناس إلى لزوم البيوت، ووضع السيوف في أغمادها، وكان مما قاله يومئذ: . . فإنها فتنة صمّاء، النّائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف، وأنصلوا الأسنَّة واقطعوا الأوتار، وأووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة[1].

وقال أيضاً: إنّ الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت تبيّنت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصّبا والدبور، فتكن أحياناً، فلا يدري من أين يؤتى، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصّوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم[2]. وكان أبو موسى يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله ﷺ من النهّي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسيّ، وتقطيع الأوتار، وضرب السيوف بالحجارة، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول[3].

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل** - يعني على أحد منكم - **فليكن كخير ابني آدم**»[4].

4 - عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما أعلم رجلاً سلّمه الله من أمور الناس، واستقام على طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر»[5]، وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله ابن عمر، فرجونا أن يحدّثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد

(1) تاريخ الطبري (5/ 513)، جراثيم العرب: أصل العرب.
(2) تاريخ الطبري (5/ 515)، باقرة: مفرقة، الصبا: الريح الشرقية.
(3) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص 181.
(4) سُنن الترمذي (3/ 332) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
(5) مصنف ابن أبي شيبة (8/ 259).

الرحمن، حدَّثنا عن القتال في الفتنة، فإنَّ الله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟، إنما كان محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على المُلك[1]. وعن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9].

فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل، أحبّ إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول فيها: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: 94]، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 193]، قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، وكان الرجل يُفتن في دينه، إما أن يقتلوه، وإمّا أن يسترقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة[2].

وقد ورد أنَّ أمير المؤمنين عليًّا حَمِدَ لابن عمر وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضياها، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، إن كان برًّا إنّ أجره لعظيم، وإن كان إثماً إنّ خطأه ليسير[3]، وفي رواية: لله درّ منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله إن كان ذنباً إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسناً إنّه لعظيم مشكور[4].

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان ابن عمر من أشد الصحابة حذراً من الوقوع في الفتن، وأكثرهم تحذيراً للنّاس من الدّخول فيها، وبقي إلى أيام فتنة ابن الزّبير فلم يقاتل معه، ولم يدافع عنه، إلا أنه كان يشهد الصَّلاة معه، فإذا فاتته صلاها مع الحجّاج، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى الشَّيطان تركناهم[5].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن حين مات عثمان تفرق الناس، وعبد الله بن عمر الرجل

(1) البخاري، كتاب الفتن (8/ 95).
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 228-229).
(3) مجموع الفتاوى (4/ 440).
(4) سير أعلام النبلاء (1/ 119-120)، مجموع الزوائد (7/ 246).
(5) العزلة للخطابي ص 20، 21.

الصّالح لحق بمكة، ولم يزل معتزل الفتنة، حتى اجتمع الناس على معاوية، مع محَبَّته لعليّ، ورؤيته له أنّه هو المستحق للخلافة، وتعظيماً له، وموالاته له، وذمّه لمن يطعن عليه، ولكن كان لا يرى الدخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال[1].

5 – سلمة بن الأكوع رضي الله عنه :

لما قُتل عُثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الرّبذة وتزوج هناك امرأة، وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليالٍ فنزل المدينة[2].

6 – عمران بن حصين رضي الله عنه :

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي[3]، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فانههم عن الفتنة: قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع. فأبلغهم عنّي وانههم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبداً حبشياً أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهنّ حتى يدركني أجلي أحبّ إليّ من أن أرمي أحد الصفّين بسهم أخطأت أم أصبت[4].

7 – سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه :

قال الذهبي رحمه الله: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ولم يقاتل مع معاوية ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل[5]، وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه[6] ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله، حتى مضت الجمل وصفين[7].

---

(1) منهاج السُنّة (6/ 285).
(2) البخاري، كتاب الفتن (6/ 285).
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 509).
(4) مصنف ابن أبي شيبة (10/ 15)، الطبراني الكبير (18/ 105) رجاله رجال الصحيح.
(5) سير أعلام النبلاء (3/ 446).
(6) البداية والنهاية (8/ 91).
(7) سير أعلام النبلاء (3/ 446).

8 - أسامة بن زيد ﷺ :

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي ﷺ، إذ يقول له: «**كيف بلا إله إلا الله يا أسامة؟**»، فكف يده، ولزم منزله، فأحسن[1]، ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو، فحملت على رجل، فلما دنوت منه كبّر، وطعنته فقتلته، ورأيت إنما فعل ذلك ليحرز دمه، وذكر الحديث، وفيه: فقال - يعني النبي ﷺ -: «**يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟**» فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تعوُّذاً من القتل، قال: «**من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟**» فما زال يردِّدُها[2] حتى قال أسامة: لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وإني أسلمت يومئذ، ولم أقتله ثم قال: إني أعطي لله عهداً، ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله، أبداً، فقال النبي ﷺ: «**بعدي يا أسامة؟**»، قال: بعدك[3].

وعن حرملة أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول: ما خلف صاحبك؟، فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد، لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره[4].

قال ابن حجر رحمه الله: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضناً منه بنفسه عن علي، ولا كراهة له، وإنه لو كان في أشد الأماكن لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته قتال المسلمين[5]، وفي رواية أخرى عند الذهبي، عن الزهري قال: لقي عليٌّ أسامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسن إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد، لأخذت بمشفره الآخر معك، حتى نهلك جميعاً أو نحيا جيمعاً، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فوالله لا أدخل فيه أبداً[6].

---

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 500-501).
(2) مسلم رقم (96)، الحاكم في المستدرك (3/ 116).
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 505) إسناد رجاله ثقات.
(4) البخاري، كتاب الفتن (8/ 61-68).
(5) فتح الباري (13/ 67).
(6) سير أعلام النبلاء (2/ 504).

9 – عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

فقد ورد عنه أنه لما سُئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صفين، أنه لم يخرج لقتال وإنما خرج طاعة لأبيه، فعن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**»، فقال معاوية: يا عمرو، ألا تغني عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حياً**»، فأنا معكم ولست أقاتل[1]، وورد ما يدل على ندمه على حضوره صفين، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة[2]، قال: قال عبد الله بن عمرو: مالي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين؟ لوددت أني مت قبلها بعشر سنين، أما والله على ذلك ما ضربت بسيفي، ولا رميت بسهم[3].

10 – صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه:

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه[4]، وعن جعفر بن برقان، أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس واختلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وكان مما قاله: وأما من لزم، فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن سلمة الفهري، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مسلمة في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعاً: نتولى عثمان وعلياً، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالإيمان ونرجو لهم، ونخاف عليهم[5].

11 – أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وخليفة بن خياط في تاريخه وابن سعد في

---

(1) مسند أحمد (2/ 164) إسناده صحيح، تهذيب التهذيب (3/ 52).
(2) أبو بكر عبد الله التيمي روى عن العبادلة الأربعة تهذيب التهذيب (5/ 268).
(3) طبقات ابن سعد (4/ 266) رجاله ثقات.
(4) سير أعلام النبلاء (2/ 18).
(5) دول الإسلام (1/ 29)، تاريخ دمشق، ص 503، 505.

الطبقات عن شعبة قال: سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان[1].

12 – أبو هريرة رضي الله عنه:

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة فقد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعُذ به**»[2].

13 – عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه:

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان، وقيل: شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى إلى الرملة[3].

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذّر غيره من المشاركة، وهو اقتناع تكَوَّن لديهم، من خلال الأحاديث التي رووها، والتي فيها النّهي عن الدّخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرّق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارجُ والقتال في الجمل وصفين، فقد شارك في قتال الخوارج عدد منهم كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري وهما ممن اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين، وأيضاً فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعد أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأُمَّة.

وقال ابن حجر رحمه الله:

وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال كابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد ابن مسلمة[4].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 303) تاريخ خليفة ص 196، الطبقات (3/ 249).
(2) مسلم، كتاب الفتن (4/ 2211-2212).
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 33).
(4) أحداث وأحاديث الفتنة، ص 212، عبد العزيز دخان.

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها، أن علّة كف هؤلاء الصحابة عن الدخول مع أحد الطرفين، قد يكون لأن الأمور كانت مشتبهة عليهم - كما قال النووي - فلم يتبينوا المحق من المُبطل، كما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقد يكون لأنهم لم يَرَوْا أن القتال هو الحل الوحيد لهذه المشكلة، لأن الصلح خير، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعاً لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة رضي الله عنه شيئاً من هذا التوجيه، فقد اعتذر لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه لا يرى القتال معه في هذا السَّبيل، رغم اعترافه بإمامته وفضله[1].

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ - قال القرطبي: وقيل إن من توقف من الصحابة قد حمل الأحاديث الواردة بالكف على عمومها، فاجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال[2].

ب - قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه[3].

جـ - وقال ابن حجر: والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد، فمن لابس القتال اتضح له الدليل، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له القدرة على ذلك، ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية، أو لم تكن له القدرة على القتال. وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**» أخرجه أحمد وغيره[4].

د - وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي ﷺ، منهم سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وابن عمر قيل له: لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفياً بمن معه، مستغنياً عنهم بأصحابه، فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترى أنهم قعدوا عن

(1) أحداث وأحاديث الفتنة، ص 212.
(2) التذكرة (2/ 223).
(3) الفصل (3/ 78).
(4) فتح الباري (13/ 46).

قتال الخوارج، لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً، لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج، استغنوا عن مباشرة القتال[1].

خامساً: موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، ومن معه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور فتُؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية لجلب المصالح، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشَّرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم - قتلة عثمان - وهو خيرٌ من شرٍ منه: القتال والفرقة[2].

لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخَّر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه اقتداء بالنبي ﷺ في حادثة الإفك، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس وكان الذي تولى كِبْرَهُ عبد الله بن أُبي بن سلول، فصعد النبي ﷺ وقال: «**من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟**»: يعني عبد الله بن أُبي بن سلول فقام أسيد بن حضير وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عبادة فرد عليه سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عبادة، فصار النبي ﷺ يخفضهم[3] وقد عَلِمَ أن الأمر عظيم، ذلك أنه قبل مجيء النَّبي ﷺ إلى المدينة، كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أُبي بن سلول ملكاً عليهم فهو له عندهم منزلة عظيمة، وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أُحد، والنبي ﷺ هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أُبي ابن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة، إذا رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة

(1) أحكام القرآن (5/ 281).
(2) تاريخ الطبري (5/ 460).
(3) البخاري، كتاب المغازي رقم (4141).

من تعجيله لأن علياً ﷺ لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً، لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب وما زالت فتنة، وَمَنْ يقول إنهم لن يقتلوا علياً ﷺ ؟ وقد قتلوه بعد ذلك[1].

كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوى ويكون الجواب، وتقوم البيِّنة ويجري القضاء في مجلس الحكم[2]، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[3]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي ﷺ وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يُعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[4].

وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرىء من فعلهم، وكان راغباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلاً، **وتجلى هذا في أمرين:**

1 – موقفه من قتلة عثمان:

لقد أنكر علي ﷺ قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[5]، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان ﷺ [6]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله ﷺ: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه[7].

(1) حقبة من التاريخ، ص 102.
(2) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 156).
(3) أحكام القرآن لابن العربي (2/ 1718).
(4) شرح الطحاوية، ص 546.
(5) البداية والنهاية (7/ 202).
(6) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص 822.
(7) المستدرك (3/ 103).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله كذب على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافتراء عليه، فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار[1]، وقد قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[2]، وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عبادة قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**»، وإني لأستحي من الله أن أُبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دُفِنَ رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى[3].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد[4] قال فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثاً[5].

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثاً[6]، وجاء عنه أيضاً أنه قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت[7]، وكان يثني على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرَّب[8].

---

(1) منهاج السُنة (4/ 406).
(2) البداية والنهاية (7/ 202) إسناده حسن.
(3) المستدرك (3/ 95) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(4) موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.
(5) فضائل الصحابة (1/ 555) رقم (733) إسناده صحيح.
(6) الطبقات (3/ 82)، والبداية والنهاية (7/ 202).
(7) الرياض النضرة، ص 543.
(8) صفوة الصفوة (306).

وعن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطىء الفرات، فمرت سفينة مرفوع شراعها فقال علي: يقول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن: 24]، والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله[1].

وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان[2]، وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك في خطبة وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[3].

2 – محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه:

كان رضي الله عنه يعاملهم بحذر شعوراً منه بخطرهم، حتى إنه لم يول أحداً منهم عند إرادة خروجه للشام حيث دعا ولده محمد بن الحنفية وسلمه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضي الله عنه على الميسرة، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر بن الجراح[4]، واستخلف على المدينة قُثَم بن العباس رضي الله عنهما[5].

وهذه بادرة منه رضي الله عنه ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم والتودد إليهم، وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كاف في عذره، لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشّدة أن يمتدّ حبل الفتنة في الأمة[6]، وحين تم الصلح بين أمير المؤمنين عليّ وطلحة والزبير وعائشة على يدي القعقاع بن عمرو – سيأتي تفصيل ذلك – خطب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد

(1) فضائل الصحابة (1/ 559–660) إسناده صحيح لغيره، رقم 379.
(2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (5/ 61).
(3) البداية والنهاية (7/ 193).
(4) تاريخ الطبري، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 158).
(5) تاريخ الطبري (5/ 470).
(6) إفادة الأخبار للتباني (2/ 52) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (2/ 159).

نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على الأمة أقوام - قتلة عثمان - طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلى الفضيلة التي منَّ الله بها، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره[1].

ثم قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، ولْيغنِ السفهاء عني أنفسهم[2]. ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان، مبدياً رأيه لموقف علي رضي الله عنه في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه، فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن عليّاً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد، فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البيّنة على القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم. وبأن يؤدي بالإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه، وإن تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصّي الحق فيه أولى وأصلح للأمة وألمّ لشعثهم وأنفى للفساد والتهمة عنهم[3]، ويبرر ابن حزم موقف علي رضي الله عنه في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق: أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ، الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم عليّ قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع فعله كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[4]، ولو أن معاوية بايع علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو أضعف يد عليّ رضي الله عنه

(1) تاريخ الطبري (5/ 525).
(2) تاريخ الطبري (5/ 525).
(3) التمهيد للباقلاني، ص 231، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 159).
(4) البخاري، كتاب الاعتصام (8/ 142).

عن إنفاذ الحق عليهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب[1]، إذ قدر على مطالبة قتلته[2].

وينقل ابن العربي وجهة نظر علي رضي الله عنه بقوله:

وعلي رضي الله عنه يقول: لا أمكن طالباً من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم[3] ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، وأما كونه لهذا السبب، أي بسبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان، فمعلوم كذلك قطعاً، وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه، وأي كلام كان يكون لعلي - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده وليّ عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول: إلا أثبت وخذ، وفي يوم يثبت، إلا أن يثبتوا هم - أي قتلته - أن عثمان كان مستحقاً للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً، وكان يكون الوقت أمكن للطلب وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى المطلوب[4].

إن علياً رضي الله عنه كان إماماً، وإن كل من خرج عليه باغ، وإن قتاله واجب حتى ينقاد إلى الحق، ولا شك أن ردّه على أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق - أي القصاص من قتلة عثمان - كان في ذلك أسدّ رأياً وأصوب قيلاً، لأنه لو اقتص من قتلة عثمان، والأمر لم يستتب له بعد لتعصب لهؤلاء قبائلهم، فتصير حرباً ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر ليقع الطلب من هؤلاء الجناة، ويجري القضاء فيهم بالحق[5].

أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن علياً مصيب في قتاله لأهل

(1) قتلته الخوارج وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
(2) الفصل في الملل والنحل (4/ 162).
(3) العواصم من القواصم، ص 163.
(4) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 161).
(5) أحكام القرآن لابن العربي، وتحقيق مواقف الصحابة (2/ 161).

صفين - كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل - وقالوا أيضاً إن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم[1].

ويلخص ابن تيمية رأي علي ﷺ في قوله:

فهو يرى أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة[2] وحين انتقل إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان المندسون في جيشه وهم كثرة، ولا سيما أهل الكوفة والبصرة منهم، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان علي يرى أن إقامة الحد عليهم سيفتح عليه باباً ربما لا يستطيع سدّه بعد ذلك، وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع ابن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير فأذعنوا له وعذروا علياً، ووافقوا على موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين، وارتكاب أخف الضررين، إن السياسة الحكيمة تقضي ما كان ينادي به أمير المؤمنين علي ﷺ من التريث والأناة وعدم الاستعجال، إذ إن الأمر يحتاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة، بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة عثمان[3]، وهناك أدلة قوية تبيِّن أن علياً كان محقاً أكثر من طلحة والزبير ومعاوية ﷺ:

1 - ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخُدري عن رسول الله ﷺ قال: «**ويح عمَّار تقتله الفئة الباغية**»[4]. يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعليّ وعمار، وردّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه[5]، ويقول النووي إن الروايات - أي عن النبي ﷺ - صريحة في أن علياً ﷺ كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها

(1) أعلام النصر المبين، لابن دحية، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 162).
(2) مجموع الفتاوى (72/ 350).
(3) تحقيق مواقف الصحابة (2/ 163).
(4) البخاري، كتاب: الجهاد (3/ 207).
(5) الفتح (1/ 542).

التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون[1].

2 - وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر النبي ﷺ قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق - الخوارج - قال: «**هم شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق**»[2]. وفي رواية: «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»[3].

ففي الحديث دلالة واضحة على أن علياً رضي الله عنه كان أدنى إلى الحق من مخالفيه في الجمل وصفين.

سادساً: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة رضي الله عنها، وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريباً، أي في ربيع الآخر من عام 36هـ[4]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة، رضي الله عنهما، للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئاً لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا - حسب قولهم - إلا الخروج للمطالبة بدمه، علماً بأن عثمان هو الذي نهى عن كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله، فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلوماً والله لأطالبن بدمه[5]، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه[6]، والزبير يقول: نُنهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالهم لم يبق إمام إلا قتله هذا

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (7/ 168).
(2) مسلم، رقم (1065).
(3) مسلم (21/ 746).
(4) تاريخ الطبري (5/ 469).
(5) تاريخ الطبري (5/ 485).
(6) سير أعلام النبلاء (1/ 341).

الضرب[1]. فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى؛ فشيعه أولاده بالبكاء وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكياً على الإسلام، أو باكياً له من ذلك اليوم[2].

لقد توافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل: أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان؛ فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدؤون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم - وعلى رأسهم السيدة عائشة - إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معاً ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قرَّ رأيهم على البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضموناً لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة لأنها أقل البلدان قوة وسلطة ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[3]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله[5]، وأنه إذا لم

(1) تاريخ الطبري (5/ 487).
(2) تاريخ الطبري (5/ 487)، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص (417).
(3) تاريخ الطبري (5/ 476)، دراسات في عهد النبوة، ص (418).
(4) تاريخ الطبري (5/ 489).
(5) دراسات في عهد النبوة، ص (419).

يؤخذ على أيدي قتلة عثمان رضي الله عنه فـيكون كل إمام معرضاً للقتل من أمثال هؤلاء[1]، وأما الطريقة التي تصوروها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الخناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش عليّ فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[2].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان، رضي الله عنه ، وكأنه رجل من عوام الناس قُتِل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حدًّا من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة وقتله بالصورة التي تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي «الخلافة» التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[3]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[4].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة، ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزّاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحاً عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة رضي الله عنها أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش عليّ، وأنه لأجل ذلك فإن عليًّا رضي الله عنه يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن عليًّا كان يسعى إليه، ويحاوله.

بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعليّ تدل على

(1) تاريخ الطبري (5/ 487).
(2) دراسات في عهد النبوة، ص (419).
(3) مقدمة ابن خلدون، ص (191).
(4) دور المرأة السياسي، ص (391).

ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لا بد من مواجهتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحاً، وصريحاً في الروايات الصحيحة[1]، التي تحدثت فيها السيدة عائشة ﵂ عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبري أن عثمان بن حنيف - وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرسل إلى عائشة ﵂ عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضاربين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله ﷻ وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[2].

وروى ابن حبان أن عائشة ﵂ كتبت إلى أبي موسى الأشعري - والي عليّ على الكوفة -: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فَمُرْ مَنْ قِبَلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[3].

ولما أرسل عليٌّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها،

(1) دور المرأة السياسي، ص (394).
(2) تاريخ الطبري (5/ 489).
(3) الثقات لابن حبان (2/ 282).

دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أُمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس[1].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء عليّ إلى عائشة رضي الله عنها فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح[2].

فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على من طعن في عائشة رضي الله عنها في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: 33] فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين - عائشة - في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[3].

قال ابن تيمية في الرد على المتّهمين في هذه المسألة:

فهي رضي الله عنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة رضي الله عنها وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كن يحججن معه، في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك[4]. ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من

(1) تاريخ الطبري (5/ 520).
(2) شذرات الذهب (1/ 42).
(3) الانتصار للصحب والآل، ص (444).
(4) منهاج السنة (4/ 317 - 570).

عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى حر أو عبد[1]. وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها.

1 - هل أُكرهت السيدة عائشة على الخروج؟.

زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج[2]، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة[3] وابن أبي الحديد[4]، وكذلك فعل الدينوري[5]، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير[6] - ابن أختها أسماء - وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[7]، فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة[8] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رضي الله عنه وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنه قد روي أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردّني أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزُّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها[9]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر[10].

(1) أحكام القرآن (3/ 569، 570).
(2) تاريخ اليعقوبي (2/ 180، 209).
(3) الإمامة والسياسة (1/ 58، 69).
(4) شرح نهج البلاغة (9/ 18).
(5) الأخبار الطوال، ص (145).
(6) سير أعلام النبلاء (2/ 193).
(7) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص (526).
(8) عائشة أم المؤمنين، ص (184).
(9) تاريخ الطبري (475).
(10) دور المرأة السياسي، ص (383)، تاريخ الطبري (5/ 469).

2 – هل كانت متسلطة على من معها؟.

كان فيمن خرج معها ﵂ جمع من الصحابة[1]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت – كما زعم بروكلمان –[2]، ولقد أكدت روايات الطبري تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[3]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[4]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[5]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أنّ الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعاً من السفهاء والغوغاء والأوباش[6]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[7]. وسيأتي بيان ذلك أنه لم يكن خروجاً غوغائياً، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين، بل كان خروجاً واعياً شارك فيه بعض الصحابة الكبار[8].

3 – موقف أزواج النبي ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان ﵁ :

كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار، فلما بويع عليّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق

(1) دور المرأة السياسي، ص (384).
(2) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص (111، 114، 117).
(3) تاريخ الطبري (5/ 475).
(4) تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي، ص (385).
(5) المصدر نفسه.
(6) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (1/ 57).
(7) تاريخ الطبري (5/ 574).
(8) دور المرأة السياسي، ص (385).

كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين[1]، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأي عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة[2]. كان الخروج في أمر عثمان إذاً غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم[3] عليها أخوها عبد الله كي لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجاً عن اقتناع منها[4]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها[5].

وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها في الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه علي[6]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى عليٍّ ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: والله لهو أعز علي من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه[7]. وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًّا رضي الله عنه أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح[8].

وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما

(1) البداية والنهاية (7/ 241).
(2) المصدر نفسه.
(3) عزم عليها: أقسم عليها.
(4) دور المرأة السياسي، ص (386).
(5) تاريخ الطبري (5/ 487).
(6) أنساب الأشراف (4/ 224).
(7) أسد الغابة (4/ 169)، الإصابة (4/ 487)، دور المرأة السياسي (ص 387)، المستدرك، مرويات أبي مخنف، ص (257).
(8) دور المرأة السياسي، ص (387).

يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهاً إلى جميع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به، لا على الجميع عموماً، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تماماً في السيدة عائشة: مكانة وسنًّا وعلماً وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهاً بإجماع جمهور المسلمين[1]، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها[2]. وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة[3]. وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا[4]. هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة والتشجيع لها على أمرها[5].

4 – مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد ابن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب**»[6] ومن طريق شعبة عن إسماعيل

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 183).
(2) سير أعلام النبلاء (2/ 183).
(3) المصدر نفسه (2/ 185).
(4) المصدر نفسه (2/ 183).
(5) دور المرأة السياسي، ص (389).
(6) مسند أحمد (6/ 97).

ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب**». فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس[1].

وبهذا اللفظ أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم[2]، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[3].

فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة، والذي زعمته الروايات الضعيفة[4] التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب؟ والروايات الدالة على النهي، والتي بها لفظة «إياك» في الأثر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء»[5] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت.

ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جديًّا في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعى لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظناً» منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبث إلا يسيراً ثم عاد هدفها واضحاً بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[6]، لقد كانت وما زالت مسألة ماء الحوأب[7] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للكثيرين يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويدينون

(1) مسند أحمد (6/ 97).
(2) المستدرك (3/ 120).
(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 767) رقم (474).
(4) دور المرأة السياسي، ص (405).
(5) قال الذهبي: كل حديث فيه: «يا حميراء» لا يصح، سير أعلام النبلاء (2/ 168، 167).
(6) دور المرأة السياسي، ص (406).
(7) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها - في زعمهم - لنهي الرسول ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوأب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري، قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[1] ويروي الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائي[2]، وهو يروي هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري وهو مجهول[3]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي[4]، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية[5].

وفي متن هذه الرواية ما يجد القارىء من رائحة الغلو والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم على لسان عليٍّ أنه كان رضي الله عنه يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماماً[6].

وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة[7]، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سنداً ومتناً، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير رضي الله عنهما[8].

---

(1) الكامل في ضعفاء الرجال (1/ 528) ميزان الاعتدال (1/ 13 4).
(2) تقريب التهذيب (1/ 697).
(3) تقريب التهذيب (2/ 392)، دور المرأة السياسي، ص (400).
(4) ميزان الاعتدال (3/ 434)، لسان الميزان (3/ 225).
(5) أسد الغابة (5/ 486)، دور المرأة السياسي، ص (400).
(6) دور المرأة السياسي، ص (402).
(7) تاريخ الطبري (5/ 483).
(8) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 283) ضعيفة السند متقطعة، وأنساب الأشراف (2/ 47) من نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرؤون على انتهاك حرمات الله؛ فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً -. وفي رواية بخمسين نفساً - يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل - كما افترى المسعودي الرافضي - أول شهادة زور في الإسلام[1]! وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة ﷺ بجانب طلحة ﷺ وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمي مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافساً داخلياً بين طلحة والزبير وحرصاً من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين القادحين[2].

ولقد تأثر كثير من الكتَّاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا في نشرها، وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية علي، وطه حسين في علي وبنوه[3] وغيرهما من الكتَّاب المعاصرين.

5 - أعمالهم في البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة ﷺ - ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة[4]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها، يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان ﷺ إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقاً، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من

(1) مروج الذهب (2/ 367).
(2) تاريخ الطبري، وفي إسنادها مجهولان، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (133).
(3) خلافة علي بن أبي طالب ص (132).
(4) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقها العلمي، ص 114 - 122.

البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة.

يقول الأحنف واصفاً هول الموقف: . . . فأتاني أفظع أمر أتاني قط فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد[1]. إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[2]، ويذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم[3] وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها. وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[4]، وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[5]، وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[6].

6 – مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حُكيم بن جبلة، بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم طلحة والزبير وعائشة كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر[7] خيله ويركبهم بها[8]، وعلى الرغم من ذلك، فإن عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين،

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (133).
(2) طبقات ابن سعد (5/ 456) له شواهد تقويه.
(3) مصنف عبد الرزاق (5/ 456) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً.
(4) الطبقات (6/ 333).
(5) فتح الباري (13/ 26)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (137).
(6) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (137 – 138).
(7) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
(8) تاريخ الطبري (5/ 494).

وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم[1]، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة ﵂ ومن معها، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[2]، وعندئذٍ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمر[3] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا، لندعنك حتى يقيدك الله[4]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان ﵁ وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديداً[5].

وظل منادي عائشة ﵂ يناديهم ويدعوهم إلى الكفّ فيأبون[6]، وجعلت ﵂ تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيماً لم يُرَع[7] للمنادي، وظل يُسَعِّر القتال، عندئذٍ وبعدما تبينت للزبير وطلحة ﵄ طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفاً في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحداً، وأقد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان ﵁ فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحداً، فاقتتلوا أشد القتال[8]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[9].

وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها في بيتها في الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع

(1) تاريخ الطبري (5/ 494).
(2) المصدر نفسه (5/ 495).
(3) اغتمر: اغتمس.
(4) يقيدك الله: القَوَد: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.
(5) تاريخ الطبري (5/ 499).
(6) المصدر نفسه.
(7) لم يرع: لم يبال.
(8) تاريخ الطبري (5/ 499).
(9) المصدر نفسه (5/ 501).

عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها ﵂ فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[1]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم، وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى علي[2]. وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين ﵂ على البصرة وقتلوا عدداً كبيراً ممن شارك في الهجوم على المدينة، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذي كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال؛ فقد بويع على ذلك[3].

7 – رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة ﵂ حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله ﷻ بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله ﷻ هو الذي يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتُهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله ﷻ سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص بن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله – سبحانه – في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله ﷻ وتلقونه، وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا[4].

8 – الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما

(1) تاريخ الطبري (5/ 503).
(2) تاريخ الطبري (5/ 493)، خلافة علي، عبد الحميد، ص (138).
(3) أنساب الأشراف (2/ 93) بسند حسن، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (139).
(4) تاريخ الطبري (5/ 501).

أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردوا أُباناً، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطاً، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[1].

وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو رافضي، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة. والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[2]، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير[3]، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف[4]، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر[5].

سابعاً: خروج امير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ عليّ بالنهوض إلى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع[6]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعُد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[7]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه

(1) تاريخ الطبري (5/ 497).
(2) المصدر نفسه.
(3) نهاية الأرب (20/ 38)، البداية والنهاية (7/ 233).
(4) تاريخ الإسلام للذهبي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (359).
(5) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (259).
(6) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي، ص (161).
(7) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي، ص (161).

البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذٍ إلى السير سرت وقد أعذرت. . فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[1].

ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام[2].

وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[3]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر. وروى الطبري أن عليًّا رضي الله عنه خرج في تعبئته التي كانت تعبي بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[4].

والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة، منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[5]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[6]. وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري - وهو بدري - عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علي أن لا أضحك حتى ألقاك[7]. فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في

(1) الثقات لابن حبان (2/ 283)، الأنصار في العصر الراشدي، ص (161).
(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (183).
(3) تاريخ الطبري (5/ 507).
(4) تاريخ الطبري (5/ 481).
(5) الطبقات (3/ 237)، الأنصار في العصر الراشدي، ص (163).
(6) البداية والنهاية نقلاً عن: الأنصار في العصر الراشدي، ص (164).
(7) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين.

الفتنة التي يخشون عواقبها[1]، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[2].

وما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلاً، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب[3]، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدراً أكثر من أربعة نفر فكذبه؛ كان علي وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية[4]، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[5]. وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل.

قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً؛ فسميا حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة[6]، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[7].

إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[8]. والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[9].

---

(1) الأنصار في العصر الراشدي، ص (164).
(2) المصدر نفسه.
(3) تاريخ ابن خياط، ص (16)، مصنف ابن أبي شيبة (8/ 710).
(4) العثمانية للجاحظ، ص (175)، الأنصار في العصر الراشدي، ص (165).
(5) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان، ص (356).،
(6) المصدر نفسه.
(7) الأنصار في العصر الراشدي، ص (165).
(8) تاريخ الطبري (5/ 481).
(9) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ص (388).

1 – نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين عليّ عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبداً، كان عليّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمراً هيناً لا يرون به بأساً، وفي قولهم وتهجمهم هذا ما يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن عليًّا رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[1].

2 – نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة[2] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[3]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما – وهو باكٍ – لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن[4] خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله.

قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر

(1) مسند أبي يعلى (1/ 381) قال محققه: إسناده صحيح.
(2) شرق المدينة المنورة تبعد 204 كيلو مترات.
(3) أنساب الأشراف (2/ 45)، خلافة علي بن أبي طالب، ص (143).
(4) تاريخ الطبري (5/ 482) خنّ: أخرج الصوت من خياشيمه.

أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[1]، ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها ثم نُخرجُ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بني[2].

كان موقف أمير المؤمنين علي حازماً في هذه المشكلة وواضحاً ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[3]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم[4].

3 – استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار[5]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار فعسكر بها بعد ثمان ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريباً[6]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه[7].

وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق.. والقول الذي هو

(1) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.
(2) تاريخ الطبري (5/ 482).
(3) تاريخ الطبري (5/ 514) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 12) إسناده حسن.
(4) خلافة علي بن أبي طالب: ص (144)، عبد الحميد، سير أعلام النبلاء (3/ 486).
(5) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، معجم البلدان (4/ 393).
(6) تاريخ الطبري (5/ 519 – 521).
(7) فتح الباري (13/ 53)، التاريخ الصغير (1/ 109).

القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع[1]. وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[2] أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[3]. ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً[4]، وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتنم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وباياناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[5].

4 – اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضَّغن على أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري على عمّار حين بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت.

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 516).
(2) أولو النهى: أصحاب العقول.
(3) تاريخ الطبري (5/ 516).
(4) مصنف عبد الرزاق (5/ 456، 457) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً، خلافة علي بن أبي طالب: ص (146)، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد علي.
(5) تاريخ الطبري (5/ 519).

فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر. وفي رواية فقال أبو مسعود - وكان موسراً -: يا غلام هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عمّاراً، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[1]. فأنت ترى أبا مسعود وعماراً كان كلاهما يرى الآخر مخطئاً، ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيباً، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيباً، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيباً، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها؛ فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكاً بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمّار على رأي عليٍّ في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحجرات: 9] وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعدياً على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصاً على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال[2].

5 - تساؤلات على الطريق:

أ - ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري لما أراد الخروج من الرّبذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً. فسمع تلك اللسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسْمُ بنا نحو الصوت

(1) البخاري، كتاب: الفتن.
(2) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 304).

لا وَألَتْ نفسي إن هبت الموت[1]

ب - أهل الكوفة يسألون عليًا بمن فيهم الأعور بن بنان المنقري:

لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المُنْقريّ فقال له علي رضي الله عنه : عليَّ الإصلاح وإطفاء النائرة[2]، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم[3].

ج - أبو سلامة الدّألاني، ممن سأل أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعاً، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إني لأرجو ألاّ يُقتل أحد نقّى قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[4].

د - وسأل مالك، حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكفّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه[5].

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء.الفتنة، وإن القتال ليس وارداً في تدابيره، لأنّه إن حصل، فهو داء لا يُرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيّته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين

(1) تاريخ الطبري (5/ 510).
(2) النائرة: العداوة.
(3) البداية والنهاية (7/ 250)، تاريخ الطبري (5/ 529).
(4) المصدر نفسه (7/ 250).
(5) تاريخ الطبري (5/ 52)، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي، ص (406).

الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم[1].

ثامناً: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أياماً، وكان غرضه رضي الله عنه القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير.

وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر، منهم:

1 – عمران بن حصين رضي الله عنه :

فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعاً، ثم أرسل إلى بني عدي – وهم جمع كبير انضموا للزبير – فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إلٰه إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعنزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدى لكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك، فإنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء أبداً[2].

2 – كعب بن سور رضي الله عنه :

أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح[3].

---

(1) الإنصاف، د. حامد، ص (406).

(2) الطبقات لابن سعد (4/ 87)، خلافة علي، عبد الحميد، ص (148).

(3) الطبقات لابن سعد (7/ 92) من طريقين صحيحة الإسناد، وخلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (149).

3 – القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ :

أرسل أمير المؤمنين «علي» القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الاختلاف والفرقة. ذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة ﷺ وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

محاورة القعقاع لطلحة والزبير ﷺ :

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان ﷺ ، ولا بد أن يُقتلوا، فإن تُركوا دون قصاص كان هذا تركاً للقرآن، وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستُّمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصاً ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًّا به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأُديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقوَّيْتموهم، وأصابكم ماتكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع علي، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

الحل عند القعقاع ﷺ : التأني والتسكين ثم القصاص:

تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة؛ فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول هذا أمر دواؤه التسكين، ولا بد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير

المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًّا[1] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهاباً لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة». اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله. عاد القعقاع إلى علي في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًّا بما جرى معه، فأُعجب علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[2].

بشائر الاتفاق بين الفريقين:

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل عليّ ﷺ رسولين[3] إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًّا، بأنَّا على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل عليّ حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[4]، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[5].

---

(1) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان.
(2) البداية والنهاية (7/ 739)، تاريخ الطبري (5/ 521).
(3) تاريخ الطبري (5/ 525).
(4) المصدر نفسه (5/ 539).
(5) المصدر نفسه (5/ 525).

سادساً: نشوب القتال:

1 – دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[1] وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[2].

فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع عليّ إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصّلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط؛ إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأي الناس فينا – والله – واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[3].

وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ – وهو المثير فيهم – فقال:

يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله عليًّا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[4] فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السرّ، فغدوا في الغلس

(1) تاريخ الطبري (5/ 526).
(2) المصدر نفسه (5/ 527)، تحقيق مواقف الصحابة (2/ 120).
(3) تاريخ الطبري (5/ 526).
(4) المصدر نفسه (5/ 527).

وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريهم إلى مضريّهم، وربيعيهم إلى ربيعيّهم، ويمانيهم إلى يمانيّهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: ما علمنا أن عليًّا غير منته حتى يسفك الدّماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم[1]، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم، وقال عليّ لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشاباً[2].

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرويّة حتى تتضح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على ألا يبدءوا بالقتال حتى يبدءوا طلباً للحجة واستحقاقاً على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبراً، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشاباً[3]، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع[4]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة. ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» في المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالاً للشك - حرص الصحابة ﷺ على الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[5].

(1) تاريخ الطبري (5/ 541).
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) تاريخ خليفة بن خياط، ص (182).
(5) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص (192، 193).

وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن: أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبذوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[1].

وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ - جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبَّة أن الذي نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[2].

ب - قال الإمام الطحاوي:

فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[3].

ج - وقال الباقلاني: . . .

وتمّ الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدؤوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[4].

د - ونقل القاضي عبد الجبار:

أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من

(1) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص (194).
(2) فتح الباري (13/ 56).
(3) شرح العقيدة الطحاوية، ص (546).
(4) التمهيد: ص (233).

أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك[1].

هـ - ويقول القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله :

وقدم عليّ على البصرة، وتدانوا ليتراؤوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[2].

و - ويقول ابن حزم رحمه الله :

. . . وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن - ولا شك - أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطاً، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أُحد بين يدي رسول الله ﷺ، فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[3].

ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[4].

ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت

(1) تثبيت دلائل النبوة للهمداني، ص (299).
(2) العواصم من القواصم، ص (156، 157).
(3) الفصل في الملل والنحل (4/ 157، 158).
(4) العبر (1/ 37)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (195).

النفوس[1]. وفي كتاب «دول الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[2].

يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة:

ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرِّحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول إن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين[3]؟!.

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دوراً في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التروي والإبصار[4]، ولا نبعد كثيراً؛ فهذا الأحنف بن قيس - وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل - يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة[5]، فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «**إذا تَوَاجَه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، فقلت - أو قيل -: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان قد أراد قتل صاحبه**»[6].

إن القتال مع عليّ كان حقاً وصواباً ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا

---

(1) تاريخ الإسلام (1/ 15)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص (195).
(2) المصدر نفسه.
(3) عبد الله بن سبأ للعودة، ص (195).
(4) المصدر نفسه ص (196).
(5) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين، وقيل إنه نفيع بن مسروح وبه جزم ابن سعد، وقيل اسمه: مسروح وبه جزم ابن إسحاق. وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل في سبب كنيته أنه تدلى من حصن الطائف لبكرة فاشتهر بها. توفي بالبصرة 52هـ.
(6) مسلم (4/ 2213)، كتاب: الفتن.

بكرة ﷺ حمل حديثاً ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين، وهو فهم منه ﷺ ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًّا ﷺ في معركته مع الآخرين، منها أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثراً عن فتوى تصيب محلها[1]. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي ﷺ، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[2]، ونقترب أكثر فإذا الزبير ﷺ وهو طرف أساسي في المعركة - يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك؛ إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر[3]. ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً[4]. وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي ﷺ على الفتنة فيقول عمار ﷺ في الكوفة عن خروج عائشة ﷺ: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم[5].

2 - الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيّون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة ﷺ، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدمه لها يعلى بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن عليّ لما جرى، ونادى مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس. ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه[6].

(1) الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية (4/ 1711).
(2) صحيح مسلم على شرح النووي (18/ 10).
(3) تاريخ الطبري (5/ 506).
(4) المصدر نفسه.
(5) المصدر نفسه (5/ 516).
(6) المصدر نفسه (5/ 541).

كانت معركة الجمل على جولتين:

الجولة الأولى: كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة[1]، ونادى علي في جيشه، كما نادى طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مدبراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجاً من المعركة تاركاً لها[2]. وقد كان الزبير، رضي الله عنه، وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوماً، وإن أكبر همي دَيْني[3]. وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليًّا، وذلك بأن يندس مع جيشه ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان قيَّد الفتك[4]، فالزبير رضي الله عنه ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين عليٌّ الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول له - أي الزبير - «**لتقاتلنه وأنت له ظالم**»[5] وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[6]، وبعض الروايات ترجع السبب في انصراف الزبير رضي الله عنه قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر، وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[7]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[8]، وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه[9] من هذه الفتنة، كما يسميها.

وفي رواية: ترجع السبب في انصرافه إلى أن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره بالقرابة القوية من علي؛ إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي

(1) تاريخ الطبري (5/ 541، 543)، الخلفاء الراشدون للخالدي، ص (245).
(2) المصدر نفسه (5/ 541).
(3) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 279)، الطبقات (3/ 108) صحيح الإسناد.
(4) مسند أحمد (3/ 19) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(5) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (201) خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.
(6) المدينة النبوية فجر الإسلام (2/ 324)، المطالب العلية رقم (4468).
(7) مسند أحمد (1/ 47 - 49)، (11/ 38) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(8) خلافة علي بن أبي طالب، ص (154).
(9) المصدر نفسه، ص 154، تاريخ الطبري (5/ 506).

طالب بن عبد المطلب[1] فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[2] كما سيأتي تفصيله بإذن الله، فالزبير، ﷺ، كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل[3]؟ وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة أسهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأدخل البصرة، ووضع في دار فيها ليعالج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دفن في البصرة ﷺ [4].

وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه الرواية لا تصح[5]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة، رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير ﷺ مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير ﷺ كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، وفيه أن الزبير ﷺ، سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك القتال[6]، وكذلك طلحة؛ فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من

(1) الطبقات (3/ 110) إسناده صحيح، خلافة علي، ص (155).
(2) الطبقات (3/ 10)، تاريخ خليفة، ص (186).
(3) المدينة النبوية فجر الإسلام (2/ 248).
(4) البداية والنهاية (7/ 253).
(5) تاريخ الطبري (5/ 540).
(6) المستدرك (3/ 366)، استشهاد عثمان، ص (200).

أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة رضي الله عنه فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[1].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة، رضي الله عنهما، وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان علي رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل عليٌّ على ابنه الحسن، وضمّه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بُني، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. فقال الحسن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يُرجى بعد هذا؟[2].

3 - الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفاً يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفىء هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[3]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش علي قائلاً: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه.

وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده[4]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على

(1) تاريخ خليفة ص 185، استشهاد عثمان، ص (202).
(2) البداية والنهاية (7/ 521).
(3) مصنف عبد الرزاق (5/ 456)، بسند صحيح إلى الزهري.
(4) البداية والنهاية (7/ 253).

البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عالياً في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضجّ جيش علي بلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم[1] وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل[2]. اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[3]، ودنا الناس بعضهم من بعض[4].

ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل[5]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[6]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغماً عنها، وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تنادي بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيري ابني آدم - أي كف يدك - فأغمد سيفه بعد أن سله فقتل رَحِمَهُ اللَّهُ [7]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر

(1) البداية والنهاية (7/ 253).
(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 268) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (2/ 236) بسند صحيح.
(3) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 258) رجاله رجال الصحيح.
(4) الطبقات (5/ 92) بسند حسن.
(5) البداية والنهاية (7/ 253)، تاريخ خليفة، ص (190) بسند حسن.
(6) البداية والنهاية (7/ 254).
(7) نسب قريش، ص (281)، التاريخ الصغير للبخاري (1/ 110) بسند صحيح.

حتى لو قتل معه؛ وذلك أن صارعه فسقطا على الأرض جميعاً، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني ومالكاً[1]، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان، رضي الله عنه، ولكن الأشتر لم يكن معروفاً بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال: الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة[2].

وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظاناً أنه قتله[3]، واستحر القتل أيضاً في بني عدي وبني ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربي الضبي برجزه:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
الموت عندنا أحلى من العسل ننعي ابن عفان بأطراف الأسل[4]

أدرك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - بما أوتي من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة - أن بقاء الجمل استمراراً للحرب، وهلاكاً للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان، كما أن في بقائها خطراً على حياتها؛ فالهودج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام[5]، فأمر علي نفراً من جنده منهم محمد بن أبي بكر «أخو أم المؤمنين» وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة -، أي يضربا قوائم الجمل بالسيف - فعقروا الجمل[6]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي فأمر به علي، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل[7]، وصدق حدس علي رضي الله عنه العسكري، فما

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 228)، مرويات أبي مخنف ص (268) إسناده صحيح.
(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (159).
(3) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 228) بسند صححه ابن حجر في الفتح (13/ 57، 58).
(4) تاريخ خليفة، ص (190) بسند حسن، خلافة علي، عبد الحميد، ص (159).
(5) أنساب الأشراف للبلاذري (2/ 43) بسند متصل.
(6) أعلام الحديث للخطابي (3/ 1611).
(7) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 286، 287) بسند جيد، الفتح (13/ 57).

إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين.

ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفني جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة نادى علي أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئاً من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحماً في قدر له فأخذ منهم القدر وكفى ما فيها حنقاً عليهم[1].

4 – عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[2].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفاً[3]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي، فقد بالغ كثيراً – بحكم ميوله – وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفاً هم من أهل البصرة فقط[4]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة، رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفاً، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[5]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيهما مبالغة أيضاً، ويذكر عمر بن شبة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً[6]، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعاً؛ إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 286، 287) بسند جيد، الفتح (13/ 57).
(2) مروج الذهب (2/ 367).
(3) المصدر نفسه.
(4) تاريخ خليفة بن خياط ص (186) بسند مرسل.
(5) تاريخ الطبري (5/ 542 – 555).
(6) تاريخ خليفة بن خياط ص (186) إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.

ألفاً[1]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً، وكان من أسباب المبالغة:

أ - رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

ب - إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

ج - إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم[2].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

1 - قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح[3]، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

2 - الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

3 - تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

4 - قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد»، ومعركة القادسية «ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد»، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدَّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

5 - أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريباً من المائة[4]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجَّح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته «استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات

(1) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 546)، فتح الباري (13/ 62).
(2) الإنصاف، ص (455).
(3) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 546) فتح الباري (13/ 62).
(4) تاريخ خليفة، ص (187، 190).

سيف بن عمر في تاريخ الطبري - دراسة نقدية»[1].

5 - هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟.

أشارت كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه هو مروان بن الحكم[2]، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

أ - **قال ابن كثير**: ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهوراً، والله أعلم[3].

ب - **قال ابن العربي**: عمَّن قال إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله: ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب؟ ولم ينقله ثبت[4].

ج - **قال محب الدين الخطيب**: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[5].

د - بطلان السبب الذي قيل إن مروان قتل طلحة رضي الله عنه من أجله، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحداً من الصحابة قد أعان على قتل عثمان رضي الله عنه .

هـ - كون مروان وطلحة رضي الله عنهما من صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[6].

و - أن معاوية رضي الله عنه قد ولى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية رضي الله عنه على رقاب المسلمين وفي أقدس البقاع عند الله.

---

(1) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (215).
(2) الطبقات (3/ 223)، تاريخ المدينة (3/ 1170) تاريخ خليفة، ص (185).
(3) البداية والنهاية (7/ 248).
(4) العواصم من القواصم، ص (157 - 160).
(5) العواصم من القواصم، ص (157 - 160).
(6) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (202).

ز - وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[1] - مع ما عرف عن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته - فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكان هذا سبباً كافياً لرد روايته والقدح في عدالته[2].

6 - نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبراً، ولا يدخلوا داراً، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[3]، وقد ظن بعض الناس في جيش علي أن عليًّا سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً، فقالوا مستكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوه على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بيت المال خمسمائة خمسمائة[4].

7 - تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعد كئيباً حزيناً.. ودعا للقتلى بالمغفرة، وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير

(1) فتح الباري (2/ 520) استشهاد عثمان، ص (203).
(2) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص (202).
(3) خلافة علي بن أبي طالب، ص (168) عبد الحميد، مصنف ابن أبي شيبة (15/ 286) بسند صحيح.
(4) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 286) بسند صححه ابن حجر (13/ 57).

والصلاح[1]، وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[2].

8 – مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حريصاً على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخي وأتِنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على عليٍّ رضي الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[3].

كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك من سيد شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليًّا، فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[4]، كما أن مروان رضي الله عنه أثنى على فعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولَّينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[5]. وبذلك تمت بيعة أهل

(1) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 261)، المستدرك (3/ 103، 104، 375) والإسناد حسن لغيره، خلافة علي بن أبي طالب، ص (169).
(2) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 268 – 269) خلافة علي، عبد الحميد ص (169).
(3) الطبقات (3/ 224) بسند حسن، المستدرك (3/ 376، 377).
(4) سنن سعيد بن منصور (2/ 337) بسند حسن.
(5) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي: ص (111)، فتح الباري (13/ 62).

البصرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، ﷺ، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد علي ﷺ أن يمكث فها مدة أطول، لولا أن مالكاً (الأشتر) أعجله عن ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشي علي ﷺ منه شرًّا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئاً[1].

9 – حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ:

«إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[2].

قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة في أصحاب النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ **[الحجرات: 9 – 10].**

فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: **«القاتل والمقتول في النار»** ليس في أصحاب النبي ﷺ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل.

قال الطبري رحمه الله: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها[3].

وقال النووي رحمه الله:

وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية

(1) فتح الباري (13/ 57)، خلافة علي، عبد الحميد، ص (174).
(2) مسلم، كتاب: الفتن (4/ 233).
(3) التذكرة (2/ 232، 233).

ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق..

وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره، واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة، ﷺ، ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفة باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ في الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم[1].

10 - تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ - أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[2].

ب - أخرج عمر بن شبَّة أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[3].

ج - أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[4].

د - ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى[5]،

(1) شرح صحيح مسلم (8/ 227، 228).
(2) تاريخ خليفة بن خياط، ص (184، 185).
(3) فتح الباري (13/ 61).
(4) استشهاد عثمان، ص (206) نقلاً عن: تاريخ الطبري.
(5) مروج الذهب (2/ 360).

غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

11 – أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي. فلم يرد عليها علي شيئاً، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات[1]؟!.

12 – اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمٰن بن أبي بكرة الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ – يعني أباه – فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[2].

13 – موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ممن ينال من عائشة رضي الله عنها:

قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر علي القعقاع ابن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن يخرجهما من ثيابهما[3]، وقد قام القعقاع بذلك.

14 – دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي، فجاء عمار فقال: من

(1) البداية والنهاية (7/ 357).
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه (7/ 258).

هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوذاً مذموماً مدحوراً[1]. وجاء في رواية: اغرب مقبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ[2]؟! وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنه فقال: حليلة رسول الله ﷺ[3].

عاشراً: بين عائشة ام المؤمنين وامير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر (عبد الله بن عثمان)، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سمٰوات، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها[4]، ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ وأرضاهن، منها:

1 – مجيء الملك بصورتها إلى النبي ﷺ في سرقة[5] من حرير قبل تزويج النبي ﷺ إياها:

فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه»**[6].

---

(1) فضائل الصحابة (2/ 110) إسناده ضعيف، ضعيف سنن الترمذي رقم (815) للألباني.
(2) سير أعلام النبلاء (1/ 179) حديث حسن قاله الذهبي.
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 176) حديث حسن.
(4) سير أعلام النبلاء (2/ 135 – 201) طبقات ابن سعد (8/ 58)، البداية والنهاية (8/ 95).
(5) أي: في قطعة من جيد الحرير، انظر: النهاية لابن الأثير (2/ 362).
(6) مسلم رقم (2438).

2 – أحب أزواج النبي ﷺ

وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل[1]، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**»[2].

قال الحافظ الذهبي رحمه الله:

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً، وقد قال: «**لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل**»، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبيْ رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحبه ﷺ لعائشة كان أمراً مستفيضاً[3].

3 – نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه ﷺ:

فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «**يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها**»[4].

وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلٰهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها[5].

---

(1) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء، النهاية لابن الأثير (2/ 389).
(2) البخاري رقم (4358).
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 143).
(4) البخاري رقم (3775)، كتاب: فضائل الصحابة.
(5) سير أعلام النبلاء (2/ 143).

4 - أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ:

فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «**يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام**»، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى - تريد رسول الله ﷺ[1].

5 - بدأ النبي ﷺ بتخييرها عند نزول آية التخيير:

وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستنَّ بها بقية أزواجه ﷺ، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة رضي الله عنها، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «**إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك**». قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله - جل ثناؤه - قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 28 - 29] قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبواي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت[2].

6 - نزول آيات من كتاب الله بسببها، فمنها ما هو في شانها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة:

فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 11] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26].

---

(1) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، رقم (3768).
(2) البخاري، كتاب: التفسير، رقم (4789).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : ومن خصائصها أن الله ﷻ برَّأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم.

وأخبر ﷻ أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلَّها! وتأمَّل هذا التشريف والإكرام الناشىء عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها[1]، فهذه صدّيقة الأمة وأم المؤمنين وحِبّ رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على الزمان.

وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[3]. وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً[4].

7 – كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرّض في بيتها:

فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفي يومها وجمع الله بين ريقه وريقها في

---

(1) البخاري، رقم (4141).
(2) جلاء الأفهام، ص (124، 125).
(3) البداية والنهاية (8/ 95)، تفسير القرآن العظيم (3/ 268).
(4) البخاري، رقم (336).

آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها[1]، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: «**أين أنا غداً؟**» حرصاً على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[2]، وعند مسلم عنها أيضاً قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[3].

وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «**أين أنا غداً، أين أنا غداً؟**» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة ﵂: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمٰن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: «**فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة**»[4].

8 – إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة:

فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، ﵂، قالت: قلت: يا رسول الله من أزواجك في الجنة؟ قال: «**أمّا إنك منهن**» قالت: فخيل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري[5]، وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر[6]، وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة، ﵂، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[7].

---

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 189)، والبداية والنهاية (8/ 95).
(2) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، رقم (3774).
(3) مسلم، كتاب: الصحابة، رقم (3443).
(4) البخاري، رقم (4450، 4451).
(5) المستدرك (4/ 13) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(6) البخاري، رقم (3771).
(7) فتح الباري، (7/ 108)، العقيدة في أهل البيت، ص (95).

9 – فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام:

ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمٰن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[1].

قال النووي رحمه الله:

قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[2].

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الروافض ومن تأثر برواياتهم المختلقة، وآثارهم الموضوعة، وجاؤوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوّلوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[3].

وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة رضي الله عنها بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟! وأي شرف أسمى من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة رضي الله عنها قد تحقق لها ذلك

(1) البخاري، رقم (3770).
(2) شرح صحيح مسلم (15/ 208، 209).
(3) البخاري، كتاب: فضائل الصحابة رقم (3772).

بشهادة عمار رضي الله عنه الذي كان مُخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ[1]، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبي ﷺ على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟**» قالت: بلى والله، قال: «**فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة**»[2] فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة رضي الله عنها ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها[3]، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[4]. فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **وبيان ذلك من وجوه:**

أ - أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة رضي الله عنها - ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكلٌّ منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر[5].

ب - أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

جـ - أن عماراً رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها[6].

وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار رضي الله عنه : أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحاً منبوذاً، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم **أتطيعوه أو إياها**[7]، وأما قول الروافض أن النبي ﷺ قام خطيباً،

(1) الانتصار للصحب والآل، ص (448).
(2) المستدرك (4/ 10)، الصحيح المسند لمصطفى العدوي، ص (356).
(3) البخاري، رقم (3772).
(4) البخاري، رقم (3772).
(5) الانتصار للصحب والآل، ص (448).
(6) الانتصار للصحب والآل، ص (450، 451).
(7) البداية والنهاية (7/ 248).

فأشار نحو مساكن عائشة فقال: «ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان»، وطعنهم على عائشة رضي الله عنها بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق وتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مساكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس[1].

وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الروافض، ويغني عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء آخر، وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[2].

وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان»[3] قالها مرتين أو ثلاثاً، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «ها إن الفتنة ها هنا، ها إن الفتنة ها هنا، ها إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[4].

وفي هذا الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الروافض[5]، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فقال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يا رسول الله وفي

(1) البخاري، رقم (3104).
(2) البخاري، رقم (7093)، مسلم رقم (2905).
(3) مسلم، كتاب: الفتن (4/ 2229).
(4) مسلم، كتاب الفتن (4/ 2229).
(5) الانتصار للصحب والآل، ص (453).

نجدنا[1]، فأظنه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»[2].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: «إن الفتنة تجيء من هاهنا» وأومأ بيده نحو المشرق، «من حيث يطلع قرنا الشيطان»[3].

وفي بعض الروايات: جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «ألا إن الإيمان هاهنا، وإن القسوة وغلظ القلب في القدادين[4]، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»[5].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة (هاهنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الروافض[6].

5 – المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن:

قال ابن تيمية رحمه الله: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[7].

وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أم المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة

(1) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
(2) البخاري، رقم (7095).
(3) مسلم، كتاب: الفتنة من المشرق (4/ 2229).
(4) القدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
(5) البخاري، رقم (3302)، الانتصار للصحب والآل، ص (455).
(6) الانتصار للصحب والآل، ص (455).
(7) مجموع الفتاوى (4/ 394).

وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها[1].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [2]، وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرىء خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[3].

وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن - رضي الله عنهن - نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله ﷺ: **«لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»**[4]، وقال ﷺ: **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية»**[5]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[6]، وقال ﷺ: **«حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»**[7].

وهذا نص في أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفضل نساء الأمة ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو قوله ﷺ: **«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة»**[8]؟. وفي لفظ: **«سيدة نساء أهل الجنة»**[9]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد

(1) مجموع الفتاوى (4/ 393).
(2) فتح الباري (7/ 109).
(3) فتح الباري (7/ 139).
(4) فتح الباري (7/ 135)، مجمع الزوائد (9/ 223).
(5) الإحسان لابن حبان (9/ 73)، صحيح الجامع للألباني (1/ 371).
(6) فتح الباري (7/ 135).
(7) فضائل الصحابة (2/ 755) رقم (1325) وصححه الألباني في تخريج المشكاة (3/ 1745).
(8) البخاري رقم (6285).
(9) فتح الباري (7/ 105).

شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص[1]، وأما ما ورد في تفضيل عائشة، ﵂، في قوله ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»، فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر[2]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة ﵂ على غيرها، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة وكان أجلَّ طعمتهم يومئذٍ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى[3]. فالحديث إذاً دال على أفضلية عائشة ﵂ على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة، ﵄، لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة ﵂ [4].

وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ: أي النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ: «**عائشة**»[5]، فقد أشار ابن حبان إلى أنه مقيد في نسائه ﷺ إذ عقد عنواناً في صحيحه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، فقلت: إني لست أعني النساء وإنما أعني الرجال، فقال: «**أبو بكر**» أو قال: «**أبوها**». ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: «**فأبوها**»[6].

وبهذا يتبين أن عائشة تلي خديجة وفاطمة في الفضل رضي الله عنهنّ، إذاً فكل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها ﵂ مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة، ﵄، ولا ينكر أن لعائشة، ﵂، من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة

(1) العقيدة في أهل البيت، ص (97).
(2) فتح الباري (7/ 107).
(3) المصدر نفسه (6/ 447).
(4) العقيدة في أهل البيت، ص (97).
(5) البخاري رقم (4358).
(6) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (9/ 11).

(رضي الله عنهنّ)، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق[1]، وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث: فاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهن؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الروافض؟![2].

هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً[3]، وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة رضي الله عنها ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعتها الروافض، والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم حرباً أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل: الإمامة والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان[4].

هل يصح هذا الحديث: تقاتلين عليًّا وأنت له ظالمة؟!

إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف وهو

(1) فتح الباري (7/ 108)، العقيدة في أهل البيت، ص (98).
(2) الانتصار للصحب والآل، ص (461).
(3) المغازي للزهري، ص (154).
(4) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل، محمد جميل؛ الحزبية السياسية، رياض عيسى، الحريم السياسي، النبي والنساء، الدولة العربية فلهوزن؛ نقلاً عن: دور المرأة السياسي، ص (442).

بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعاً، فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار[1].

أمير المؤمنين علي ﷺ يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار.. وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها عليّ أميالاً وسرح بنيه معها[2] يوماً. وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي ﷺ نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة ﷺ عندما قال له: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». قال: أنا؟ قال: «**نعم**». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[3]. وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي ﷺ لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي في فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[4].

وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأى عنده

---

(1) منهاج السنة (2/ 185).
(2) تاريخ الطبري (5/ 581).
(3) مسند أحمد (6/ 393) إسناده حسن.
(4) البخاري، رقم (4786).

من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ :

رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[2].

وعلي رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك[3]. إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ ناصحاً: وسل الجارية تصدقك[4]، فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة[5]، وقد سأل رسول الله ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقاً بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيراً، وقد خرج رسول الله ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبيّ قائلاً: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً**»[6].

لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[7]. ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الرافضة التي لفَّقوها ووضعوها.

---

(1) دور المرأة السياسي، ص (462).
(2) شرح النووي على صحيح مسلم (5/ 634).
(3) البخاري، رقم (4786).
(4) البخاري، رقم (4786).
(5) دور المرأة السياسي، ص (462).
(6) البخاري، رقم (4786).
(7) دور المرأة السياسي، ص (462).

ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : . . . وهكذا عامّة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعليٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[1].

أ - فأمير المؤمنين علي ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[2].

ب - وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًّا حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[3].

ج - وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعاً[4].

د - وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي أنه سمع عليًّا يقول - حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم -: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[5].

هـ - وأما عائشة فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير[6].

---

(1) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محيي الدين الخطيب، ص (222).
(2) الفتن لنعيم بن حماد (1/ 80).
(3) المصدر نفسه.
(4) الفتن (1/ 81) نعيم بن حماد.
(5) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص (217).
(6) الفتن، نعيم بن حمّاد (1/ 81).

و - كانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]. تبكي حتى تبل خمارها[1].

ز - **قالت عائشة**: وددت أن لو كان لي عشرون ولداً من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وأني ثكلتهم، ولم يكن ما كان من يوم الجمل[2].

ح - **قال ابن تيمية** رحمه الله: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثمّ تبيّن لها فيما بعد أنَّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[3].

ط - **قال الذهبي**: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ[4].

الحادي عشر: سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[5]، ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهو حواريّ رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى[6]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة[7]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 177) الطبقات (8/ 81).
(2) التمهيد للباقلاني، ص (232). عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشراف بني مخزوم، توفي قبل معاوية.
(3) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض أهل الرفض والاعتزال، ص (222، 223).
(4) سير أعلام النبلاء (2/ 177).
(5) الإصابة (1/ 526 - 528).
(6) الطبقات الكبرى (3/ 100) الإصابة (1/ 526 - 528).
(7) سير أعلام النبلاء (1/ 41).

رسول الله[1]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روى أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً[2].

1 - أول من سلَّ سيفه في سبيل الله:

عن **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللهُ، **قال**: أول من سلّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسول الله قُتِل، فخرج من البيت متجرداً السيف صَلْتاً، فلقيه رسول الله ﷺ كَفَّةَ كَفَّةَ[3]، فقال: «**ما شأنك يا زبير؟**» قال: سمعت أنك قُتِلْت، قال: «**فما كنت صانعاً؟**» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير. قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عَزَّوَجَلَّ دعوة النبي ﷺ[4].

2 - هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار «النجاشي» ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً وخافوا أن يظهر ذلك الرجل وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل[5]، قالت أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدْره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنّا

(1) سير السلف (1/ 226) الرواية مرسلة.

(2) الطبراني في الكبير (1/ 122).

(3) كفة كفة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.

(4) فضائل الصحابة (2/ 914) رقم (1260) إسناده ضعيف حسن لغيره.

(5) السيرة لابن هشام (1/ 279)، أصحاب الرسول (1/ 274).

لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو يقول: ألا أبشرُوا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده[1].

بعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادىء الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها.

3 – في غزوة بدر:

كان الزبير رضي الله عنه فارساً مقداماً، وبطلاً مغواراً، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق[2]، ولقد بذل الزبير، رضي الله عنه، الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفاً لله عز وجل فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير[3].

فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدّي ابن عمَّة أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارسُ الشقراءِ
وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نُصرة ... بالحوض يوم تألب الأعداء[4]

وعن الزبير رضي الله عنه قال:

لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينيه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو

(1) السيرة النبوية لابن هشام (1/ 279).
(2) أهل الشورى الستة، رياض العبدالله، ص (67).
(3) الطبراني في الكبير رقم (230) مرسل صحيح الإسناد، سير أعلام النبلاء (1/ 46).
(4) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (501).

بكر فأعطاها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل[1].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف[2].

وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة[3].

4 – في غزوة أُحد:

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أُحد[4].

وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيفاً وقال: **«من يأخذ مني هذا؟»** فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا – وكان من ضمنهم الزبير – قال: فمن يأخذه بحقه: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: **«أن تضرب به العدو حتى ينحني»**. قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب – أي يمشي مشية المتكبر – وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال: **«إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»**[5].

ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين

(1) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، رقم (3998).
(2) التاريخ الإسلامي (4/ 163).
(3) سير أعلام النبلاء (1/ 46) والرواية مرسلة.
(4) فضائل الصحابة (2/ 918) رقم (1267) إسناده صحيح.
(5) مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، رقم (2470).

سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت - وهكذا كانت تقول له إذا تعصب - فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر الكيول[1] أضرب بسيف الله والرسول[2]

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان من المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف[3] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم[4].

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[5].

وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا بن أختي كان أبواك - يعني الزبير وأبا بكر - من ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: 172].

لمّا انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أنّ بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: 174] لم يلقوا عدواً[6]، ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أُحد جاءت أم الزبير صفية بنت

(1) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(2) البداية والنهاية (4/ 17).
(3) ذفف: أجهز عليه.
(4) البداية والنهاية (4/ 18).
(5) البداية والنهاية (4/ 18).
(6) البخاري رقم (4077).

عبد المطلب لتنظر إلى أخيها، وقد مثل به المشركون فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: «**القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها**»، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن، إن شاء الله، فلما جاء الزبير بن العوام، رضي الله عنه، إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: «**خل سبيلها**»، فأتته، فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت[1]، واستغفرت له[2].

وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير: أنه لما كان أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: «**المرأة المرأة**». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فَلَدَمَتْ في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له[3].

5 – في غزوة الخندق: (لكل نبي حواريّ وحواريّي الزبير)[4]

قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «**من يأتينا بخبر بني قريظة؟**» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «**لكُلّ نبي حواريّ، وحواريَّ الزبير**»[5]، ومعنى قوله ﷺ: «**وحواريي الزبير**» أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه

(1) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(2) السيرة النبوية لابن هشام (3/ 108).
(3) مسند أحمد (3/ 34) الموسوعة الحديثية، إسناده حسن.
(4) مسلم رقم (2414).
(5) المصدر نفسه.

الصلاة والسلام، أي خلصاؤه وأنصاره، فالحواري هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير، ﷺ، ولذلك سمع عبد الله بن عمر، ﷺ، رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[1].

وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: «**من يأتيني بخبر القوم؟**» قال الزبير: أنا، قال: «**من يأتيني بخبر القوم؟**» فقال: أنا وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره[2].

وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[3].

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير ﷺ، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له[4]. لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساماً خالداً باقياً على مر السنين: «**لكل نبي حواري وحواريي الزبير**»[5].

لقد وصف النبي ﷺ الزبير بالحواري، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون،

(1) مصنف ابن أبي شيبة رقم (12219)، صحيح.
(2) عمدة القاري (19/ 2239).
(3) البخاري، رقم (3720).
(4) تحفة الأحوذي (10/ 246).
(5) مسلم، رقم (2414).

لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة، لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادىء والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره[1]، كما جاء في الحديث: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**»[2].

ومن سنن الدعوات أن مسيرتها تمر بالفتن والمحن وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «**ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون**»[3].

فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي والإخلاص والفداء التي هي أبرز صفات الحواريين، فيكون مثالاً حقيقياً لورثة الأنبياء، فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها، ويضحي في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته في الوقت الذي يكون ساقطو الهمة لا همَّ لهم إلا مصلحتهم الشخصية[4].

والزبير بن العوام رضي الله عنه، نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبي ﷺ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ﷺ، وأثبتت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام فكلف بمهمة كشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته[5].

هذا وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول ﷺ وكان له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي (2/ 26، 27).
(2) دراسات تربوية للأعظمي، ص (206).
(3) صحيح مسلم بشرح النووي (2/ 26، 27).
(4) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، ص (207).
(5) دراسات تربوية في الأحاديث النبويّة.

6 – في غزوة اليرموك:

عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذٍ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكَّل به رجلاً[1].

قال الذهبي في السِّير معلقاً: هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذا ذاك ابن عشر سنين[2].

وذكر ابن كثير رحمه الله أن الموقعة هي: «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين، فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذٍ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجُرح يومئذٍ جُرحين بين كتفيه، وفي رواية: جُرْح[3].

ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً، فشهد اليرموك، فتشرَّفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم[4].

7 – في فتح مصر:

ولما قصد عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها،

(1) البخاري، رقم (3975).
(2) سير أعلام النبلاء (1/ 63).
(3) البداية والنهاية (1/ 63).
(4) البداية والنهاية (7/ 260).

فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام من اثني عشر ألفاً، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[1].

وحين قدم الزبير على عمرو، وجده محاصراً حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[2].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سُلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعاً، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبِّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس[3].

8 – غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت

(1) فتوح مصر والمغرب، ص (61)، قادة فتح الشام ومصر: ص (208 – 226).
(2) سير أعلام النبلاء (1/ 55).
(3) قادة فتح الشام ومصر، ص (209 – 227).

أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثُلثي فرسخ قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «إخ إخ»، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملُك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[1].

9 - تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء رضي الله عنهم:

من شدة حب الزبير، رضي الله عنه، للشهادة كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إنّ طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ، وإنيّ أسمي بأسماء الشُّهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك[2].

10 - إخفاء الطاعات عند الزبير:

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل[3].

11 - ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير:

مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: ما لي أراكم غير أذنين لما

(1) حياة الصحابة (2/ 691)، أصحاب الرسول (1/ 281).
(2) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (505)، الطبقات (3/ 101).
(3) الزهد لابن المبارك، ص (392).

تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، **فقال حسان يمدح الزبير:**

قام على عهد النبي وهديه ... حواريه والقول بالفعل يُعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي وليَّ الحقّ والحقُّ أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حَشّها ... بأبيض سباق إلى الموت يُرْقِلُ[1]
وإن امرؤ كانت صفية أمّهُ ... ومن أسد في بيتها لمُؤثَّلُ[2]
له من رسول الله قُربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجد مؤثَّلُ[3]
فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي فيُجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا بن الهاشمية أفضل[4]

12 – كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه:

روي عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبد الرحمٰن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم[5].

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسِّم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعاً لذلك يُسخّر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني، وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يتكفَّل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة رضي الله عنهم[6].

---

(1) يرقل: يسرع، وهي سرعة سير الإبل.
(2) في الديوان وعند الحاكم: لمرفل: وهو العظيم المبجل.
(3) سير أعلام النبلاء (1/ 56).
(4) سير أعلام النبلاء (1/ 57).
(5) المصدر نفسه (1/ 131).
(6) التاريخ الإسلامي (17/ 131).

13 – وحان وقت الرحيل.. وشهادة رسول الله له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام رضي الله عنه من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بيّنا الأسباب في تركه لساحة المعركة، وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَركُ الأمور التي أخشى عواقبها في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمت لو أن علمي نافعي أن الحياة من الممات قريب[1]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويقال: بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة، فقال: ادن، فقال مولى الزبير – واسمه عيطه –: إن معه سلاحاً. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة. فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله. ويقال: بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة[2]، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها، وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها، **فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:**

غدَر ابنُ جرموز بفارس بهمة يومَ اللقاء وكان غرٌّ معرد[3]

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعشَ الجنان[4] ولا اليد

ثكلتك أمُّكَ أن ظفرت بمثله ممن بقي ممن يروح ويغتدي

كمْ غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا بن فقع العرد[5]

والله ربي إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد[6]

---

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 60).

(2) **القائلة**: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.

(3) **معرد**: المعرد: الصلب والشجاع.

(4) **الجَنان**: القلب.

(5) البداية والنهاية (7/ 261) **العرد**: الصلب الشديد.

(6) البداية والنهاية (7/ 261).

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى عليّ ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستؤذن فقال علي: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: «**لكل نبي حواري وحواريي الزبير**»[1]، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[2].

وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز من الدخول عليه، وقال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار[3].

ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[4] للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[5].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيداً، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم[6].

قال النووي رحمه الله:

وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم - غير النبي ﷺ وأبي بكر - شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير رضي الله عنهم قُتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلوماً فهو شهيد[7].

(1) فضائل الصحابة (2/ 920).
(2) البداية والنهاية (7/ 261).
(3) الطبقات (3/ 105) إسناده حسن، خلافة علي، ص (164) عبد الحميد.
(4) أقيد: قود: القتل بالقاتل.
(5) البداية والنهاية (7/ 261).
(6) مسلم رقم (2417).
(7) شرح النووي على صحيح مسلم (15/ 27).

قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: عليٌّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قَتلوا الأربعة[1].

14 - حرصه على أداء دَيْنه عند الموت:

عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدَيْنه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين، فبعتها - يعني وقضيت دينه - فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصابت كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[2].

وقول البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة[3].

وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير[4]، وبارك الله له في أراضيه بعد موته فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير.

---

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 62).
(2) البخاري، رقم (3129).
(3) شذرات الذهب (1/ 209).
(4) الإصابة لابن حجر (2/ 461).

وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد:

أ - قول الزبير لابنه:

يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي: وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله ﷻ ، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازماً بأن كل شيء بيد الله جل وعلا، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يُشكلون طرفاً آخر في قضيته إنما هم في قبضة الباريء جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدِّر هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها[1] المعروفة.

ب - هل كان الزبير ﷺ من الأثرياء؟

نرى النصَّ السابق ينطق بأن الزبير ﷺ ، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون، وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضاً بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يُبقي دينُنَا من مالنا شيئاً؟ فلا يجد عبد الله جواباً لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئناً إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدِّر ويتوقَّع، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه، فيسأله - عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه - : من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطاً بثروة أبيه، عارفاً بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن

(1) التاريخ الإسلامي (20/ 309).

يكون ظهيراً لأبيه عالماً بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هيناً، فيقول: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه فيقضيه[1].

ومما يشهد أيضاً بأن الزبير لم يكن معدوداً من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله أن حكيم بن حزام ﷺ - وهو ابن عم الزبير - لقي عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون فإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي[2].

ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر ﷺ لعبد الله بن الزبير - وكان له عند الزبير أربعمائة ألف - فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله بن الزبير: لا. قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم[3].

فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعدانه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وهو يتعامل معه أخذاً وعطاءً واقتراضاً وائتماناً فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير، ﷺ، ما كان من أصحاب الثروات[4].

وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله؛ ففي بعض المصادر أنه كان له ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً، يتصدق بذلك جميعه[5].

لكن المستشرق الذائع الصيت «ول ديورانت» جعل الألف عشرة آلاف، فقال:

(1) البخاري، رقم (3129).
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) الزبير بن العوام: الثورة والثروة، عبد العظيم الديب، ص 9.
(5) سير السلف الصالحين (1/ 227) في إسناده ضعف.

كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد. ثم أضاف إليها ألف جواد[1]، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدّق الزبير بخراج مماليكه[2].

وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخاري، إذ جاء فيها «فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر»[3]، فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن همّ الدَّين، والكُرب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم[4]، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً؟! هذا كله على فرض أنها كانت ألفاً فقط، أما إذا أخذنا بشطحة «ول ديورانت»، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها - مهما كان بخساً - أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لَدَيْني. ولا أن يسأله: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي[5].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان سيرتهم، وأخلاقهم وصفاتهم، واجب علينا، وحتى يخرج القارىء بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة في الحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي أسهمت في

(1) الزبير بن العوام: الثروة والثورة، ص 11.
(2) المصدر نفسه، ص 13.
(3) البخاري، رقم (3129).
(4) الزبير بن العوام: الثروة والثورة، ص (14).
(5) البخاري، رقم (3129).

الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي ﷺ ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارىء من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

الثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله ﷺ واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[1]، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء[2]، وأمه ﷺ الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي[3]، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة[4]، وطلحة ﷺ أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ ، وأحد الستة أصحاب الشورى[5].

1 – إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله ﷺ :

حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخْل، وحرّة[6] وسباخ[7]، فإياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت سريعاً حتى قدمتُ مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة.

---

(1) الإصابة (2/ 220)، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (2/ 210).
(2) فتح الباري (7/ 82).
(3) الإصابة (2/ 220).
(4) المصدر السابق (4/ 337)، فتح الباري (7/ 82).
(5) المستدرك للحاكم (3/ 369)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (1/ 228).
(6) حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.
(7) سباخ: جمع سبخة، وهي أرض ذات نزّ وملح.

قال طلحة رضي الله عنه : فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه، فاتّبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير. وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ، بما قال الراهب؛ فسر رسول الله ﷺ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية، فشدّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش، ولذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرينين[1].

هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذىً كبيراً من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة رضي الله عنه صابراً على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة لقيه طلحة قادماً من الشام في عير، فكسا رسول الله وأبا بكر من ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من حاجته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر؛ فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأوّلين رضي الله عنهم [2]، ولما قدم المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري[3]، وقيل: كعب بن مالك الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[4].

2 – في غزوة بدر:

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قد كُلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد، رضي الله عنهما، يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، وكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهماً كالمقاتلين، وأجراً كالمجاهدين[5].

(1) البداية والنهاية (7/ 258).
(2) البداية والنهاية (7/ 258)، فرسان من عصر النبوة، ص (225).
(3) البداية والنهاية (7/ 258).
(4) فرسان من عصر النبوة، ص (225)، الاستيعاب لابن عبد البر.
(5) الحاكم في المستدرك (3/ 369) الاستيعاب (4188).

3 – في غزوة أُحد، أوجب طلحة رضي الله عنه :

عن جابر قال: لما كان يوم أُحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ: «**مَن للقوم؟**» قال طلحة: أنا. قال: «**كما أنت**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقاتل حتى قُتل. ثم التفت، فإذا المشركون، فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا. قال: «**كما كنت**»، فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) فقال: «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**». ثم رد الله المشركين[1].

وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «**لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حيّ في الدنيا**»[2].

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أُحد[3]، وجُرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشُلَّت أصبعه – أي السبابة والتي تليها[4]، وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[5].

وعن عائشة وأم إسحاق بنتا طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجةٌ مربعة، وقُطع نساه – يعني العرق – وشُلَّت أصبعه، وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغَشْيُ – الإغماء – ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيته، مشجوجٌ في وجهه، قد علاه الغَشْيُ، وطلحة مُحتمِله يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[6]، حتى قال عنه ﷺ:

---

(1) السلسلة الصحيحة رقم (2171)، الحديث حسن بمجموع طرقه.
(2) فضائل الصحابة رقم (1294) إسناده صحيح.
(3) البخاري، رقم (4063).
(4) البخاري (7/ 361)، أصحاب الرسول (1/ 264).
(5) فتح الباري (7/ 361).
(6) سير أعلام النبلاء (1/ 32).

«أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع»[1].

4 – شهيد يمشي على الأرض:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد**»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ [2] – فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ ظل يبحث عن شهادته في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ عدا غزوة بدر[3]، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله ﷺ كما مرّ معنا، وقال عنه النبي ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»[4].

5 – من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد – يعني طلحة – وعليَّ ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه**»؟ قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: «**هذا ممن قضى نحبه**»[5].

6 – دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن **مالك بن أبي عامر، قال**: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم لحديث رسول الله منكم – يعني أبا هريرة – نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أنْ قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع فلا أشك، وسأخبرك: إنّا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله غُدوة وعشية وكان مسكيناً لا مال له – أبو هريرة – إنما

(1) صحيح الجامع للألباني رقم (2540).
(2) مسلم، رقم (2417).
(3) أصحاب الرسول (1/ 260).
(4) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (5962).
(5) رواه الترمذي بإسناد حسن، رقم (3742).

هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ما لم يَقُلْ[1].

وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

7 – إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه[2]، وعن موسى عن أبيه طلحة: أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقالت له: زوجته: ما لك؟ قال: تفكرتُ منذ الليلة، فقلت: ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليٍّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[3]، وعن سُعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خاثر[4]، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم حليلة المسلم أنت، ولكن مالٌ عندي قد غمَّني. فقلت: ما يغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لي قومي، فقسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف[5].

عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضاً له بسبعمائة ألفٍ فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرقه[6]، وعن عليّ بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 7) إسناده حسن.
(2) الحلية (1/ 88)، سير أعلام النبلاء (1/ 30).
(3) سير أعلام النبلاء للذهبي (1/ 30، 31).
(4) خاثر النفس: غير نشيط.
(5) مجمع الزوائد (9/ 148) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.
(6) سير أعلام النبلاء (1/ 32).

إليك الثمن فقال: الثمن، فأعطاه، وكان ﷺ لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف[1]، إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود[2]، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد[3]، فأطعمهم وسقاهم فقال النبي ﷺ: «يا طلحة الفياض». فسمي طلحة الفياض[4].

8 – من فرائد أقواله ودُرَر جواهر كلامه:

فمن أقواله: إن أقلّ عيب الرجل جلوسه في بيته[5]، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النّعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء[6]ولطلحة ﷺ آراء ثاقبة وصحيحة في الناس، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جباناً في حرب[7].

9 – شهادة طلحة بن عبيد الله ﷺ:

لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع على ركبته، وقيل: في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمع به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إليَّ عباد الله، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وإن عليًّا لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب[8]، ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وبُجري[9]، وترحم عليه

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 31).
(2) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص (527).
(3) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، النهاية (4/ 37).
(4) البداية والنهاية (7/ 258).
(5) المستدرك (3/ 374)، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، مختصر تاريخ دمشق (11/ 203)، يقصد أن العزلة بُعد عن الاهتمام.
(6) فرسان من عصر النبوة، ص (237).
(7) المصدر نفسه.
(8) البداية والنهاية (7/ 258).
(9) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

وقال: ليتني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة[1].

ولا شك أن طلحة بن عبيد الله ﷺ من أهل الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن ابن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**». ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ نحو هذا[2]، ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة ﷺ، حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، وأكرِمْ بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة[3].

10 – حفظ الله له بعد موته:

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله، ﷺ، بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاماً ونقلوه إلى مكان آخر فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شِقّي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان فإن النَّزَّ – الرطوبة أو الماء – قد آذاني، فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة[4]، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

11 – سعد بن ابي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعليّ وطلحة والزبير ﷺ:

عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعليّ ﷺ فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام فصلى ركعتين

(1) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (528).
(2) أخرجه أبو داود (4649)، الترمذي (3747) حديث حسن.
(3) عقيدة أهل السنة (1/ 293).
(4) أصحاب الرسول (1/ 270).

ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته[1] والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك[2].

(1) الكركرة: الصدر.

(2) البداية والنهاية (7/ 259).

obeikandl.com